قطوف من المتشابه اللفظي
في قصة سيدنا موسى
- عليه الصلاة والسلام-

إعداد

د. زكريا علي محمود الخضر

أستاذ مساعد بقسم أصول الدين- كلية الشريعة

جامعة اليرموك

قطوف من المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى
- عليه الصلاة والسلام-

ملخص البحث:

تناول هذا البحث دراسة المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام- من ناحيةٍ بيانيةٍ، وعمل الباحث فيه على تحليل الآيات التي اشتملت على المتشابه اللفظي.

وقد بين الباحث أصول البحث في دراسة المتشابه اللفظي في القصة القرآنية، فوجدها تقوم على أربعة أسس، هي:

أ- دراسة النظائر القرآنية وربط بعضها ببعض.

ب- مراعاة السياق القرآني.

ج- بيان المتشابه على نحو ينفي دعوى التكرار.

د- الدراسة البيانية للمتشابه اللفظي في القصة القرآنية.

وقدّم أمثلةً على تلك الأصول من خلال كتب التفسير والمتشابه اللفظي، وقد درس الباحث جوانب متعددة من المتشابه اللفظي في التقديم والتأخير، وما يوهم الاختلاف وغير ذلك، ودرس بعض الفوارق اللغوية مثل (فانبجست) و(فانفجرت)، و(أرسلنا) و(أنزلنا)، وقد ناقش الباحث أقوال العلماء في بيان المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام- ، وتناول قضية مراعاة الفاصلة القرآنية، فبيّن أنها لا تستقل وحدها بالغرض البلاغي، بل هناك أسرار بلاغية في التقديم والتأخير.

وقد اعتمد الباحث على أئمة هذا الفن - المتشابه اللفظي -، كما عرض لأقوال العلماء المعاصرين في توجيه المتشابه اللفظي في هذه القصة القرآنية، وناقشها في بعض المواضع حسب الأصول العلمية.

Excerpts from analogous verbalism in the story of Moses (May peace be upon him).

DR .ZAKARYIA ALI MAHMOUD AL KHADER

Abstract:

The researcher studied the aspects of the analogous verbalism in the story of Moses from an illustrative point of view and the researcher worked on the analysis of a verse from the Holy Koran that had the analogous verbalism.

The researcher looked for the origins of the research in the analogous verbalism in the story in the Holy Koran and it was that there are four substructures:

A. researching the Koranic counterparts and connecting them together.

B. considering context in the Holy Koran.

C. defining the analogous verbalism in a way that negates repetition.

D. conducting an illustrative study of the analogous verbalism in the story in the Holy Koran.

The researcher introduced examples of these origins through commentary and construction book and through analogous verbalism.

The study introduced many aspects of the analogous verbalism in the story of Moses (May peace be upon him). The study of the analogous verbalism (forwarding and delaying and the difference in between, also had some linguistic differences such as the expressions (imploded) and (exploded), (and we send on to the unjust), (and we sent down onto the unjust), etc.

The study also studied opinions of several scientists and researchers in the subject of analogous verbalism in the story- the subject of research, introduced the Koranic comma, and argued that it does not stand alone for a rhetoric reason and that rhetorical mysteries of forwarding and delaying.

The researcher referred back to accredited literature in that matter and also introduced sayings of contemporary scientists in the matter of analogous verbalism and discussed them scientifically in accordance to scientific research

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فإن موضوع المتشابه اللفظي في القصة القرآنية موضوعٌ دقيقٌ بالغ الأهمية؛ لأنه يكشف عن سلامة القرآن الكريم من الاختلاف والتناقض، وهذا في حد ذاته وجهٌ من وجوه الإعجاز القرآني، لما يحتويه من ثروةٍ علميةٍ بيانيةٍ هي ترجمةٌ لقول الله - تعالى-:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ولما يتناوله من قضايا بالغة الأهمية، بحيث تحتاج إلى إعمال فكرٍ، وتقليب نظر، وإدارة ذهنٍ للإجابة عنها، والوقوف فيها على رأيٍ صحيحٍ مستندٍ إلى دليلٍ وبرهانٍ قويمٍ.

وقد آثرت أن أبحث في جانبٍ من المتشابه اللفظي في القصة القرآنية، ألا وهو المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى –عليه السلام-؛ نظراً لتفرقها في مواضع من القرآن، ولكونها أطول قصة في كتاب الله -عز وجل-، ولما فيها من قضايا وجوانب مهمةٍ تشكل مادةً كبيرةً وثريةً في البحث.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث حسبما تقتضيه الدراسة، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي والفرق بينه وبين المتشابه بالمفهوم الأصولي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المتشابه اللفظي لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني: بيان الفرق بين المتشابه اللفظي وبين المتشابه بالمفهوم الأصولي .

المبحث الثاني: أصول البحث في المتشابه اللفظي في القصة القرآنية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دراسة النظائر القرآنية، وربط الآيات بعضها ببعض.

المطلب الثاني: مراعاة السياق القرآني.

المطلب الثالث: بيان المتشابه اللفظي على نحو ينفي دعوى التكرار.

المطلب الرابع: الدراسة البيانية للمتشابه اللفظي في القصة القرآنية.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية للمتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى –عليه السلام–، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ما يوهم التعارض والاختلاف.

المطلب الثاني: الاختلاف في ترتيب أحداث القصة.

المطلب الثالث: الاختلاف في التقديم والتأخير من حيث اللفظة القرآنية.

المطلب الرابع: الاختلاف في التقديم والتأخير من حيث النظم.

المطلب الخامس: الفروق اللغوية في المتشابه اللفظي في القصة.

المطلب السادس: الاختلاف من حيث الذكر وعدم الذكر في مواضع.

المطلب السابع: ما أعيد لفظه بتمامه.

الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث.

وأود أن أشير إلى أن الآية الواحدة قد يكون لها أكثر من جانبٍ في البحث والدراسة في المتشابه اللفظي، مما يعنينا في دراسة المتشابه اللفظي، فأجتزئ منها بعضها ليستقل بالدراسة والتحليل، كنحو قوله – سبحانه –:﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وقول الله – سبحانه –:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[النمل:٧]، وقول الله – سبحانه –: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى موسى الأجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ**

لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:٢٩]، فهذه الآيات فيها مواضع كثيرة من المتشابه اللفظي ، فأكتفي ببيان جانب منها، وهو (سآتيكم)، و (لعلي) وأفيض في دراسته، وهذا له أكثر من سبب، **أولاً**: أن مثل هذه الآيات إذا ما حاولنا تقصي دراستها دراسةً مستوعبةً سيطول بنا المقام. **ثانياً**: حتى يتم التنويع في الأمثلة من آيات غيرها.

وإني لأرجو الله - تعالى - أن أكون قد وفقت فيما قدمت، راجياً احتساب ذلك في ميزان أعمالي، يوم لا يضيع مثقال ذرة أو أصغر من ذلك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعريف المتشابه اللفظي والفرق بينه وبين المتشابه بالمفهوم الأصولي

المطلب الأول: تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: تعريف المتشابه لغة:

المتشابه مأخوذ في اللغة من الشبه، و(الشبه بالكسر والتحريك: المثل ، جمعه أشباه، كجذع وأجذاع، وسبب وأسباب، وشهيد وأشهاد، وشابهه وأشبهه: ماثله، ومنه: من أشبه أباه فما ظلم. وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر أباه فما ظلم.

وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الأخر حتى التبسا)[١].

وتشابه الشيئان واشتبها: (أشبه كل واحد صاحبه)[٢].

والمشتبهات من الأمور (المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات)[٣].

وعلى هذا فإن التشابه نتيجةً لوجود التماثل قد يقع فيه خلط للأمور، ولهذا المعنى المعنوي أصل حسّي، قال ابن سيده: (الشّبه: شجرة كثيرة الشوك)[٤].

فهي لكثرة شوكها صارت أشواكها متماثلةً ومتداخلةً، ولعل المعنى المعنوي جاء من هذا الباب.

الفرع الثاني: تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحاً:

ذكر بعض العلماء تعريفاً للمتشابه الذي نحن بصدد دراسته بشكل تقريبي، حيث عنى به الكرماني: (الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ،أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك، مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة أو نقصان)[٥].

وعرفه الزركشي بأنه: (إيراد القصة الواحدة في صور شتىً وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته: التصرف في الكلام ، وإتيانه على ضروب ؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدءاً به ومتكرراً)[٦].

وأدخل السيوطي ذلك في باب الاقتدار ، حيث قال: (هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارةً يأتي به في لفظ الاستعارة ، وتارةً في صورة الإرداف، وحيناً في مخرج الإيجاز، ومرة في قالب الحقيقة، قال ابن أبي الإصبع: وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن؛ فإنك ترى القصة الواحدة لا تختلف معانيها تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة ، حتى لا تكاد تشتبه في موضعين منه، ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً)[٧].

والملاحظ أن المتشابه اللفظي يتناول صوراً متعددة للقصص القرآني يظهر التشابه والتماثل بينها، إلا أن هناك فروقاً تظهر في التقديم والتأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف ، وما إلى ذلك.

وفي هذه إشارة إلى أن المتشابه اللفظي يحتاج إلى مزيد بحث وبيان لمعرفة الفروق بين القصص المذكورة في القرآن أكثر من مرة

المطلب الثاني

الفرق بين المتشابه اللفظي وبين المتشابه بالمفهوم الأصولي

هناك فرق واضح بين مفهوم المتشابه اللفظي وبين مفهوم المتشابه بالمصطلح الأصولي، فهو عند الأصوليين مقابل المحكم[٨].

قال الجويني: (المختار عندنا أن المحكم كل ما علم معناه وأدرك فحوه، والمتشابه هو المجمل)[٩].

وقال ابن الفراء: (المتشابه المشتبه المحتمل الذي يحتاج في معرفة معناه إلى تأمل وتفكر وتدبر وقرائن تبينه، وتزيل إشكاله)(١٠).

وقال الزركشي: (واختار بعض المتأخرين أن المحكم الذي لا يتطرق إليه إشكال مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان، والمتشابه نقيضه، فيدخل في المحكم النص والظاهر، وفي المتشابه الأسماء المشتركة كالقرء واللمس وما يوهم التشبيه في حق الله -تعالى-)(١١).

وعلى هذا، فإن موضوع المتشابه اللفظي موضوع البحث والدراسة يختلف كلياً عن موضوع المتشابه بالمفهوم الأصولي؛ إذ مفهوم المتشابه اللفظي يقع في ذكر القصة القرآنية أو التركيب القرآني إذا ذكر أكثر من مرة، ويلاحظ فيه الفروق اللغوية، وربما أعيد لفظ الآية بتمامها، وهذ يفترق عن موضوع المتشابه عند الأصوليين.

المبحث الثاني

أصول البحث في المتشابه اللفظي في القصة القرآنية

إن دراسة المتشابه اللفظي في القصة القرآنية يتطلب منهجًا علميًا، وأصولاً صحيحةً في توجيه وإبراز القضايا التي يمكن أن تنجم عن هذه الدراسة، ولدى النظر في تعامل المفسرين مع المتشابه اللفظي في القصة القرآنية، فإنه يمكن أن أبيّن الأصول العامة التي ساروا عليها، وقاموا بتوجيه المتشابه اللفظي بناءً عليها، وقد اجتهدت أن أوضّح بعض الأمور استكمالاً لجوانب الموضوع، وآثرت أن أصوغ هذه المنطلقات والأصول في مطالب؛ حتى يتم دراستها دراسةً منهجيةً.

المطلب الأول

دراسة النظائر القرآنية، وربط الآيات بعضها ببعض

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وأن أفضل أنواع التفسير على الإطلاق: هو تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه كما يقول الإمام ابن تيمية:(ما أُجمل في مكان قد فُسِّر في مكانٍ آخر، وما اختصر في مكانٍ فقد بسط في موضعٍ آخر)[١٢]، وكما هو معلوم فإن صاحب الكلام أدرى بكلامه من غيره.

وإذا طبقت هذه القاعدة الأمينة، فإنها ستجنب المفسّر الوقوع في الزلل ومجانبة الصواب، وإذا كان هذا مهماً في التفسير بشكلٍ عامٍّ، فإنه في دراسة المتشابه اللفظي في القصة القرآنية أدخل بشكل خاصٍّ؛ فالمفسّر بحاجةٍ إلى أن ينظر إلى أوجه التشابه والافتراق بين جميع المواضع والسور، التي ظهر فيها هذا التشابه بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك يقوم بدراستها على نحوٍ يظهر أسرار هذا التشابه.

وحتى تتضح هذه القاعدة فإني أضرب مثالاً على ذلك؛ ليظهر أن تطبيقها أمرٌ لا غنىً لمفسّرٍ عنه.

فقد ورد في سورة الأعراف قوله - سبحانه -: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ١٢٣]، وفي سورة طه: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[طه: ٧١]، وفي سورة الشعراء: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الشعراء: ٤٩]، يلاحظ أنه في طه والشعراء ذكر اللفظ (آمنتم له)، وفي الأعراف (آمنتم به)، فلننظر كيف تعامل الخطيب الإسكافي - كأحد المفسرين- مع هذه القضية، وطبق القاعدة التي ذكرتها آنفاً.

قال الخطيب الإسكافي: (الهاء في (آمنتم به) غير الهاء في (آمنتم له)، وكل واحدةٍ تعود إلى غير ما تعود إليه الأخرى، فالتي في (آمنتم به) لرب العالمين؛ لأنه - تعالى - حكى عنهم : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ، وهو الذي دعا إليه موسى - عليه السلام-، وأما الهاء في (آمنتم له) فلموسى –عليه السلام-، والدليل على ذلك أنها جاءت في السورتين، وبعدها في كل واحدةٍ منهما (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر)، فالهاء في (إنه) هي التي في (آمنتم له)، ولا خلاف أن هذه لموسى - عليه السلام-، والذي جاء بعد قوله (آمنتم به) قوله - سبحانه -: -: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾، أي إظهاركم ما أظهرتموه من الإيمان برب العالمين وقع على تواطؤ منكم افتريتموه، لتستولوا على العباد والبلاد، ويجوز أن يكون الهاء في (آمنتم به) ضمير موسى –عليه السلام-؛ لأنه يجوز أن يقال: آمنتم بالرسول؛ أي أظهرتهم تصديقه، وأقدمتم على خلافي قبل أن آذن لكم فيه، وهذا المكر مكرتموه، وسرٌّ أسررتموه، لتقلبوا الناس عليّ، فاقتضى هذا الموضع الذي ذكر منه المكر إنكار الإيمان به، فأما الإيمان له في الموضعين الآخرين، فاللام تفيد معنى الإيمان من أجله، ومن أجل ما أتى به من الآيات، فكأنه قال: آمنتم برب العالمين؛ لأجل ما ظهر لكم على يدي موسى – عليه السلام- من آياته، وفي الموضع الذي ذكر فيه من أجله، وعبّر عنه باللام، هو الموضع الذي قصد فيه إلى الإخبار بأنه كبيركم الذي علمكم السحر، فلذلك خص باللام، والأول خص بالياء)[١٣].

فما أجمل صنيع الخطيب الإسكافي في فهم المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى – عليه السلام-، إذ استعرض الآيات وقابل بينها، ووفق بين مواضع المتشابه اللفظي في قوله - سبحانه - (آمنتم به)، و (آمنتم له)، على نحوٍ يظهر فيه التآخي بين الآيات، فبربطه بين الآيات وصل إلى أن كلا الموضعين متممٌ للآخر؛ فـ (آمنتم به) معناها: آمنتم به - سبحانه -، و (آمنتم له) لأجل ما جاءكم به موسى – عليه السلام- من الآيات، فيصبح المعنى بالجمع بين الآيتين: آمنتم به - سبحانه - لأجل ما جاءكم به موسى – عليه السلام- من الآيات، وهذا ربطٌ دقيقٌ بين الآيات القرآنية بعضها ببعض.

المطلب الثاني

مراعاة السياق القرآني

إن مراعاة السياق القرآني قاعدةٌ مهمةٌ من قواعد التفسير القرآني، وقد استعمل المفسرون هذه القاعدة في جوانب مختلفةٍ في التفسير، واهتموا بها اهتماماً كبيراً، ومن هذه الجوانب: المتشابه اللفظي في قصص القرآن، فها هو البقاعي يقول:(ولما خلت نعمة الأكل في هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة من التعقيب، وهو: الاستعطاف، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع، وهي لا تنافي تلك، فقال:(وكلوا منها): القرية، (حيث شئتم)، وأسقط الرغد لذلك، وقدم (وقولوا حطةٌ)؛ ليكون أول قارعٍ للسمع مما أمروا به من العبادة مشعراً بعظم ما تحملوه من الآثام؛ إيذاناً بما سيقت له هذه القصص في هذه السورة من المقام)(١٤).

فهنا يقارن البقاعي بين ما جاء في سورة البقرة وهو قوله – سبحانه -: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٥٨]، وبين ما جاء في سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦١]، وذهب ابن عاشور إلى أن: (آية البقرة سيقت مساق التوبيخ، فناسبها ما هو أدل على المنّة، وهو تعجيل الانتفاع بخيرات القرية، وآيات الأعراف سيقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل، ولأجل هذا الاختلاف جاءت آية البقرة بإعادة الموصول وصلته في **﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً﴾** [البقرة:٥٩] ، وعوّض عنه هنا بضمير الذين ظلموا؛ لأن القصد في آية البقرة بيان سبب إنزال العذاب عليهم مرتين، أشير إلى أولاهما بما يومئ إليه الموصول من علة الحكم، وإلى الثانية بحرف السببيّة، واقتصر هنا على الثاني) (١٥)، وقد لاحظنا كيف استخدمت قاعدة السياق القرآني لبيان سر ذكر كلمة (رغدًا) في البقرة، وعدم ذكرها في سورة الأعراف، وسيأتي مزيدٌ لهذا الأمر وتوضيحه في الدراسة التطبيقية – إن شاء الله تعالى -.

المطلب الثالث

بيان المتشابه اللفظي على نحو ينفي دعوى التكرار

اهتم العلماء والباحثون بمسألة التكرار[١٦] في القصة القرآنية، وقد نص العلماء على أن إعادة ذكر القصة القرآنية أمر دعت إليه الحاجة، قال ابن قتيبة : (وكانت وفود العرب ترد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- للإسلام فيقرأ المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بسورٍ مختلفةٍ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثنّاةً ومكررةً لوقعت قصة موسى – عليه السلام- إلى قوم، وقصة عيسى – عليه السلام- إلى قوم، وقصة نوح– عليه السلام- إلى قوم، وقصة لوط –عليه السلام- إلى قوم، فأراد الله - تعالى - بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلبٍ، ويزيد الحاضرين في الأفهام والتحذير)[١٧].

وقد عد العلماء أيضاً إعادة ذكر القصة في أكثر من موضعٍ ضرباً من أضرب الإعجاز، يقول الزركشي: (ومنها- من فوائد إعادة ذكر القصة- ظهور الأمر العجيب في إخراج صورٍ متباينةٍ في النظم بمعنى واحدٍ، وقد كان المشركون في عصر النبي – عليه السلام- يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله - سبحانه - أن الأمر بما يتعجبون منه مردودٌ إلى قدرة من لا يلحقه نهايةٌ، ولا يقع على كلامه عدد)[١٨].

والذي يفهم من هذا: أنه لابد من بيان الحكمة من إعادة ذكر القصة حسب السياق الذي وردت فيه.

وأكتفي بالإشارة هنا إلى ما قاله زين الدين الرازي في دراسته لمتشابه قصة سيدنا موسى –عليه السلام-، حيث يقول:(فإن قيل قصة موسى –عليه السلام- مع فرعون والسحرة ذكرت في سورة الأعراف، ثم في سورة طه، ثم في هذه السورة (البقرة)، فما فائدة تكرارها وتكرار غيرها من القصص؟ قلنا: فائدته تأكيد التحدي

وإظهار الإعجاز، كما أن المبارز إذا خرج من الصف قال: نزالِ! نزالِ! هل من مبارزٍ؟ هل من مبارزٍ؟ مكرراً ذلك، ولهذا أسمى الله القرآن (مثاني)؛ [١٩] لأنه تثنت فيه الأخبار والقصص، فإن قيل: كيف كرر الله - تعالى- ذكر قصة موسى –عليه السلام- أكثر من قصص غيره من الأنبياء ؟ قلنا: لأن أحواله كانت أشبه بأحوال النبي – عليه السلام- من أحوال غيره في إقامة الحجج، وإظهار المعجزات لأهل مصر، وإصرارهم على تكذيبه والجفاء عليه، كما كان حال النبي –عليه السلام- مع أهل مكة)[٢٠].

وفي موضع آخر يقول الرازي:(فإن قيل: كيف قال الله – تعالى - هنا: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الاعراف:١٠٩] ، وقال في سورة الشعراء:﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[الشعراء: ٣٤]، فنسب هذا القول إلى فرعون قلنا: قاله هو، وقالوه هم، فحكى قوله ثمَّ وقولهم هنا)[٢١].

يلاحظ هنا أن دراسة المتشابه اللفظي في القصة القرآنية، ينبغي أن تكون على وجهٍ يدفع دعوى التخالف في القرآن، فضلاً عن دفع دعوى التكرار أيضاً.

وفي الدراسة التطبيقية سيتضح هذا جلياً بعون الله - تعالى -؛ إذ سنجد العلماء قد درسوا المتشابه اللفظي في القصة القرآنية على نحوٍ يظهر فيه إعجاز القرآن، ويدفع عنه شبهة التكرار.

المطلب الرابع

الدراسة البيانية للمتشابه اللفظي في القصة القرآنية

إن المتشابه اللفظي في القصة القرآنية ميدانٌ فسيحٌ للدراسات البيانية والبلاغية؛ لما يحتويه من قضايا بديعةٍ ذات شأن عظيم، من تقديمٍ وتأخيرٍ، وحذفٍ وذكرٍ، وأسرارٍ بلاغيةٍ في الخبر والإنشاء، وقصرٍ، وفصلٍ ووصلٍ، وأسلوب إيجازٍ،

وما يحتويه من أسلوبٍ فريد في بيان القصة، مما بهر العلماء والدارسين، وجعلهم يتفكرون ويتدبرون، وتكدُّ قرائحهم في فهم هذه القضايا واستنباطها، والتقاط دررها.

وفي بحثي هذا أظهرت بعض الجوانب البيانية، وبينت آراء العلماء فيها، وهذه الجوانب هي:

- التقديم والتأخير في اللفظة القرآنية.
- التقديم والتأخير في النظم القرآني.
- التقديم والتأخير في ترتيب أحداث القصة.
- ذكر بعض الألفاظ في مواضع، وحذفها في مواضع أخرى.

وأودّ أن أرجئ الحديث عن هذه القضايا وذكر الأمثلة عليها إلى مبحثها المستقل بها، وأكتفي بذكر مثالٍ واحد هنا، ففي تقديم ذكر سيدنا هارون على ذكر سيدنا موسى – عليهما السلام- يقول الرازي:(فإن قيل: كيف قدم هارون على موسى في قوله- تعالى-:﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[طه: ٧٠] ، وهارون كان وزيراً لموسى –عليه السلام- وتبعاً له، قال الله – تعالى -:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٥]، قلنا: إنما قدمه ليقع موسى مؤخراً في اللفظ، فتتناسب الفواصل، أعني: رؤوس الآيات)[٢٢]. وهنا يلاحظ أن الرازي جعل الفائدة من التقديم والتأخير مراعاة الفواصل، وإن كان هذا كلامٌ يناقش؛ إذ هو غير مسلّمٌ به، إلا أن زين الدين الرازي بيّن وجه التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي.

والصواب ما ذهب إليه الباقلاني من أن ذلك دليلٌ على إعجاز القرآن، وعجز العرب عن الإتيان بمثله؛ إذ يقول: (إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنىً واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة،وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونُبهوا

بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدءاً به ومكرراً، ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي معناها وتحويها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مســـاواته فيما جاء به) [٢٣].

المبحث الثالث

الدراسة التطبيقية للمتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى – عليه السلام –

المطلب الأول

ما يوهم التعارض والاختلاف

قد يظهر في بعض الآيات التي تناولت قصة سيدنا موسى – عليه السلام – إذا أضيفت إلى مثيلاتها بعض الاختلاف لغير المتدبر، فيتوهم أن ثمة تخالفاً أو إشكالاً يتطلب إيضاحاً؛ حتى يتبين له وجه الصواب في فهمها.

ومن هذه الآيات- كنموذج على هذا- ما جاء في قول الله- تبارك وتعالى- في سورة البقرة:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] الآية، ففي هذه الآية أُمر بنو إسرائيل بدخول القرية، بينما نجد في سورة الأعراف أنهم أمروا بأن يسكنوا القرية قال الله- تعالى-:﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾[الأعراف:١٦١] الآية؛ إذن يوجد أمرٌ بالدخول في موضعٍ، وأمرٌ بالسكون في موضعٍ آخر، وهما أمران مختلفان، لاسيما أن موضوع الآيتينِ متشابه في أمورٍ كثيرةٍ، فما حل هذا الإشكال الظاهري؟

أجيب عن هذا بأنه (لابد من دخول القرية أولاً، ثم سكونها ثانياً، فالدخول حالةٌ منقضيةٌ زائلةٌ ليس لها استمرارٌ، فلا جرم يحسن ذكر فاء التعقيب (فكلوا) بعده، وأما السكون، فحالةٌ مستمرةٌ باقيةٌ، فيكون الأكل حاصلاً معه عقيبه)(٢٤).

وهذا رأيٌ وجيهٌ؛ إذ يظهر فيه ترتب الأحداث والأفعال، فالدخول أولاً، ثم السكنى ثانياً، ولابن عاشور رأيٌ آخر، حيث يقول: (إن القولين (ادخلوا) و(اسكنوا) قيلا لهم؛ أي قيل لهم: (ادخلوا)، وقيل لهم: (اسكنوا)، ففرق ذلك على القصتين على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص؛ استجداداً لنشاط السامع)(٢٥)؛ وكلام ابن عاشور محتملٌ؛ إذ يحتمل على رأيه أنهم قيل لهم ادخلوا أولاً، ثم لما تلكأ هؤلاء، قيل لهم: اسكنوا ثانياً؛ لمزيدٍ من الحث والترغيب لهم، فيمكن على هذا إضافته إلى الإجابة الأولى.

غير أن تعليل ابن عاشور التغاير بين الفعلين تعليلٌ عامٌّ يشمل هذين اللفظين وغيرهما، وكان الأنسب - فيما يظهر لي - أن يقف مع سياق الآيات ليستوضح سر مجيء هذا التغاير.

ويلوح لي بالنظر في سياق الآيات سر التعبير بالدخول في البقرة، وبالسكون في الأعراف، ذلك أنّا إذا تمعنا في آيات سورة البقرة، نجد أنها تتحدث عن بني إسرائيل في مقام التوبيخ والذمّ والتعنيف، فبعد أن فضلهم الله - تعالى - على العالمين، وأنعم عليهم بنعمٍ عظيمةٍ أنجاهم من آل فرعون، ومنَّ عليهم بأن آتى سيدنا موسى- عليه الصلاة والسلام- الكتاب والفرقان، أخذ يبيّن ما كان منهم من جحودٍ ونكرانٍ لهذه النعم، وكان من جملة جحودهم، وما بدر منهم تبديل القول الذي قيل لهم، وهو قوله - سبحانه - لهم: (قولوا حطة)، فاختيار كلمة (ادخلوا) التي تفيد عدم المشقة والكلفة، تظهر أنهم لا يحبون الانقياد والطاعة للحق بأي أمرٍ مهما كان سهلاً؛ لأن طبيعتهم التذمر وعدم الانصياع للأوامر، وما كان يضيرهم لو أنهم فعلوا ما أمروا به من مجرد الدخول الذي لا يكلفهم ذلك العناء، لاسيما وأن الله - تعالى - تكفل لهم بالنتيجة وضمنها لهم، ولكن لم يحصل منهم هذا الدخول على النحو الذي أراده الله - تعالى - لهم.

بينما نلحظ أن آيات الأعراف جاءت في معرض تعداد النعم، وبيان المنن التي منّ الله – تعالى – بها عليهم، وكان بيانها من أجل الاعتبار والاتعاظ، فذكر الفعل (اسكنوا)؛ إذ يلحظ فيه جانب الرغد وبسط النعمة وبحبوحة العيش، وفيه مكثٌ وطمأنينةٌ، وهذا يتناسب مع ما سيقت الآيات لبيانه، والله أعلم وأحكم.

ومما يذكر كنموذج أيضاً على ما يوهم الاختلاف: ما جاء حديثاً عن عصا موسى - عليه السلام – في سورة طه، قال - تعالى -: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٩-٢٠] ، وفي سورة الأعراف والشعراء يقول الله - تعالى -: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧، الشعراء:٣٢] ، وقال الله - تعالى - في سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠].

يلاحظ في هذه المسألة أن هناك ثلاثة أوصافٍ مختلفةٍ لعصا موسى - عليه السلام- المنقلبة عن حالها الجمادية إلى الحالة الحركية، فلها وصف الحية، ولها وصف الثعبان، ولها وصف الجان، وهذه أحوالٌ مختلفةٌ، فكيف نفهمها ونزيل الإشكال الظاهري؟

لقد أكثر المفسرون في هذه القضية القول، وخلاصة ما قالوه: "إن العصا وصفت بأوصاف ثلاثةٍ: تارةً بأنها حيةٌ تسعى، وأخرى كأنها جان، وثالثةً هي ثعبانٌ مبينٌ، وهذه الأوصاف الثلاثة شيءٌ واحدٌ؛ إذ هي ثعبان مبينٌ في ضخامتها، وهي حية تسعى كذلك، ولكنها في خفة حركتها كالجان، والجان صغار الحيات"[٢٦].

ومع قبول هذه التوجيهات القيمة التي جمعت بين الآيات على نحوٍ عميق من الفهم، إلا أنني كنت أود لأئمتنا الكبار أن يقفوا مع هذه الآيات، ويدرسوها ضمن سياقها الذي جاءت فيه، لنعرف لم اختيرت لفظة (حية) في موضعها، ولفظة (ثعبان) في موضعها، ولفظة (الجان) في موضعها، وعندها يظهر- بلا شك - أهمية

اختيار اللفظة، وتناسبها مع المقام والسياق، وهذا يضاف إلى الجمع بين الآيات، فتتوافق المعاني، وتتآخى فيما بينها.

وعلى هذا، فأقول - وبالله التوفيق-:

في دراستنا لآية سورة طه: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[طه:٢٠] ، نلحظ أن الآية التي قبلها أشارت إلى وجود العصا، والعصا جماد لا يتحرك إلا بحركة المؤثر فيه.

ثم إن هذه العصا تحولت إلى حيةٍ تسعى، وتتحرك بذاتها، فاختار لفظ الحية، وليس الثعبان ولا الجان؛ لمقابلة عنصر الجمود الكائن في العصا، وفي هذا دلالةٌ على قدرة الله – تعالى - ، وبيان هذه الآية لكليم الله موسى – عليه السلام -، وقيّد لفظ الحية بالسعي، ليدل على أصل الحركة لهذا المخلوق العجيب؛ إذ هي حيةٌ بهذا المعيار، أو أن أول مرحلة من مراحل انقلابها أنها بدأت بالسعي، الذي هو مقابل المشي عند الكائنات الموصوفة بهذا الوصف، وهذا يشعر بأنها حيةٌ كبقية الحيات، التي من شأنها أن يصدر منها هذا الفعل.

ثم بعد أن وصفها بأن فيها عنصر الحياة، أخذ يبين أنها احتوت على فاعليةٍ وحركةٍ، فأشبهت صغار الحيات في سرعتها وخفتها، فصار فيها جانبان:

- المشي من أول انقلابها.
- وسرعة المشي، وحركته القوية.

والتعبير بالجان هنا في قوله - سبحانه -: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل:١٠]، يناسب تولي موسى – عليه السلام- مدبراً؛ لأن مجرد مشي الحية ببطءٍ، مما يدل على أصل حركتها قد لا يخيف، لاسيما أنه - عليه السلام- قد احترف الرعي، وعرف من جانب الدواب والحيات ما جعله خبيراً بأمورها، ولكن مجيئها على هذا النحو من القوة والسرعة أمرٌ يقذف الخوف في النفس، ويملأ القلب هلعاً ووجيفاً، حيث إنها سرعةٌ غير طبيعيةٍ.

أما الوصف بالثعبان: فهو لبيان الجَرْم وعظم الحجم، وقد وصف بأنه مبينٌ؛

إذ هو مبينٌ عن وصفه الذي ذكر به، ومبينٌ عن أنه آيةٌ دالةٌ على صدق نبي الله موسى - عليه السلام-، ولا يخفى كونه آيةً ومعجزةً من معجزات الخالق - جل وعلا-.

ومما يلاحظ: أن لفظ الثعبان جاء في سياق التحدي بين فرعون وموسى - عليه السلام-، حيث جاءوا بأفخم ما عندهم، وقصارى ما عرفوه وحذقوه من صنعتهم، فناسب أن يقابلوا بما هو أعظم وأفخم، فكان لفظ الثعبان أنسب بالسياق وأليق، واختياره في مكانه الذي لا يسد غيره مسده، والله أعلم.

ومن الأمثلة على ما يوهم التعارض أيضاً: قوله - تعالى -: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠] ، مع قوله - سبحانه -: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]، وقوله - سبحانه -: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

نلاحظ أن آية طه والقصص ذكر فيها ترجي موسى - عليه السلام- الإتيان بخبر النار، أو استيضاح أمرها، بينما في سورة النمل نجده يقطع بمضمون ما آنسه، فيلاحظ أن ثمة اختلافٌ ظاهريٌ، أو ما يوقع في اللبس للوهلة الأولى.

ومعنى هذا: أنه عبّر بالسين الدالة على الاستقبال بقوله - سبحانه - (سآتيكم)، بينما عبّر بـ (لعلّ) الدالة على الترجي (لعلي آتيكم)، فهما يبدوان كالمتدافعين؛ لأن أحدهما ترجٍ، والآخر تيقّن.

وقد أجيب عن هذا بإجاباتٍ طيبةٍ، قال الزمخشري: (فإن قلت: كيف جاء بسين التسويف؟ قلت: عدةٌ لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدةً، فإن قلت: فلم جاء بأو دون الواو؟ قلت: بني الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه

جميعاً، لم يعدم واحدةً منهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار؛ ثقةً بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده، وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافرٌ على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً، وهما العزَّان: عز الدنيا، وعز الآخرة)[٢٧].

وهذا كلامٌ جميلٌ يظهر فيه عمق الفهم النفسي لدى الزمخشري.

ويقول الفخر الرازي: (لم يقطع فيقول: إني آتيكم؛ لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به)[٢٨].

وقريبٌ من هذا ما ذهب إليه زين الدين الرازي، إذ قال: (قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا، أو سيكون كذا مع تجويزه الخيبة)[٢٩].

وألمح من هذا كله: أن مدار الأمر على الحالة النفسية، التي بدت من سيدنا موسى - عليه السلام- مع أهله، وانفعاله بما رأى على نحو ما سيظهر بيانه بعد.

ويضاف إلى هذا حالته النفسية بين الرجاء وقوة تعلقه بالأمل، وقد ذهب الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى أن الذي قاله موسى - عليه السلام – إنما هو عبارةٌ واحدةٌ فقط، أما العبارتان الأخريان فكانتا مما يدور في خلده، ويجول في خاطره – عليه السلام –، إذ يقول: (سآتيكم) أو (لعلي آتيكم...) مما دار في نفسه – عليه السلام – دون أن يحدثهم – أهله – به)[٣٠]، ومع تقديري لهذا الرأي، فإنه ينبغي أن يراعى قوله - سبحانه -: ﴿ **امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً** ﴾[طه:١٠]؛ إذ هذا قولٌ من موسى - عليه السلام – لأهله، ثم كيف يكون التعليل أو علة البحث عن النار (سآتيكم)، أو (لعلي آتيكم) مما دار في حديث النفس؟ وكيف جاز هذا الفصل بين القول النفسي والقول اللفظي؟ وما مسوغه والكلام ما زال مرتبطاً ببعضه؟ ثم ألا يلحظ أن قوله (سآتيكم) أو (لعلي آتيكم) فيه مزيد إيناسٍ لهم بسماعهم هذا منه - عليه السلام-؟

وقد عدل الأستاذ عن هذا الرأي بطريقةٍ غير مباشرةٍ فقال: (إن هذه الانفعالات النفسية يمكن أن تكون خرجت من همس الخاطر جميعاً، وتسربت إلى

الخارج تحت ضغط الانفعال النفسي، فكانت ألفاظاً مسموعةً من موسى-عليه السلام- أسمعها أهله؛ ليكونوا على بيّنةٍ مما وراء هذا الوجه الذي يتجه إليه)[٣١].

وأنا أسأل الآن: هل تكون الألفاظ إلا وفق ما رُتّب في النفس من معاني، وحديث للنفس جرى بين الإنسان ونفسه؟ إن ما ذهب إليه الأستاذ لا يوافق عليه؛ لأن الله - تبارك و تعالى - لا يسجل خواطر دارت في خلد موسى -عليه السلام – يثبتها حديثاً بينه وبين أهله؛ فهذا لا يتفق مع موضوعية القرآن الكريم وواقعيته، ولكنها عباراتٌ قالها سيدنا موسى – عليه السلام -؛ لِيُطَمئن بذلك أهله وهو الذي سيتركهم دون مؤنس لهم في غيبته.

المطلب الثاني

الاختلاف في ترتيب أحداث القصة

إن من أغراض القصص في القرآن الكريم تعميق المفاهيم، عن طريق تنوع الأسلوب وعرض الحدث؛ إذ في هذا تنشيطٌ لهمة السامع، وإبراز للقضايا بأكثر من طريقة، بما يتناسب مع موضوعات السورة التي ترد فيها القصة، ولم تأخذ قصة سيدنا موسى - عليه السلام- وجهاً واحداً، أو نمطاً معيناً سارت عليه، بل كان هناك عرضٌ لجوانب بسط فيها القول في بيان الحدث، وأوجز الحديث عن بعضها في جوانب أخرى، وكان من بين هذه الأساليب المتنوعة: أن عرضت بعض الأحداث والقضايا بترتيبٍ معيّنٍ في موضع، ثم عرضت في موضعٍ آخر، مع تشابه الموضوع بترتيبٍ مغايرٍ، وهذا نمطٌ تفرد به القرآن الكريم مما يدل على إعجازه وبيانه، وسأعرض هنا لنموذج يدل على هذا: ففي سورة البقرة، يقول الله- تبارك و تعالى-: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ

لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾》[البقرة:٥٧-٧٠]، وفي سورة الأعراف، يقول الله-تعالى-:《 وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ 》[الأعراف: ١٦٠-١٦٢].

فنلاحظ أن هناك تغايراً في ترتيب الأحداث، بين سورة البقرة وسورة الأعراف لقصةٍ واحدةٍ متشابهة، على النحو الآتي: في سورة البقرة ذكر الله-تعالى- أنه ظلل على بني إسرائيل الغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وبيّن أنهم ظلموا أنفسهم، وذكر- سبحانه-أنه أُمروا بدخول القرية والأكل منها، ودخول الباب سجداً، وأن يقولوا (حطة)، ثم بيّن - جل وعلا-: أن الذين ظلموا بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فأنزل الله - تعالى - الرجز عليهم؛ بسبب فسقهم، ثم ذكر بعد ذلك أن سيدنا موسى -عليه السلام- استسقى لقومه، فقال له الله- تعالى -:《 ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ 》[البقرة:٦٠]بينما نجد في سورة الأعراف ترتيباً مختلفاً عن هذا؛ إذ بين الله - سبحانه - أنه قطَّع القوم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً، ثم ذكر استسقاء القوم وضرب موسى بعصاه الحجر، فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً، ثم بين-سبحانه-أنه ظلل

عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وبين أنهم ظلموا أنفسهم، ثم ذكر - سبحانه - أنهم قيل لهم اسكنوا القرية، وأُمروا بالأكل منها، وبأن يقولوا (حطة)، وأن يدخلوا الباب سجداً، ثم ذكر- سبحانه- أن الذين ظلموا منهم قد بدلوا القول الذي قيل لهم، فكانت النتيجة أن أرسل عليهم رجزاً من السماء؛ بسبب ظلمهم، هذا مع ما في الآيات من تغايرٍ في ترتيب النظم، وهذا سيكون له بحثه في موضعه- إن شاء الله تعالى -، والسؤال الآن: ما سر هذا التغاير في ترتيب أحداث القصة؟

قال الشيخ محمد عبده: (إن أمر بني إسرائيل بدخول قرية بيت المقدس، كان بعد خروجهم من مصر، وإن استسقاء موسى وضرب الحجر بعصاه حدثا أثناء زمن التّيه، ولكن القرآن لم يهتم بالزمن حتى يرتب عليه الأحداث؛ لأن غرضه من عرض هذه الأنباء؛ إنما هو إثارة الاعتبار؛ ببيان النعم متصلةً بأسبابها؛ لتطلب بها، وبيان النقم متصلةً بعللها؛ لتتقى من جهتها، فكان غرض السياق يقتضي تذكير بني إسرائيل بما منَّ الله – تعالى - عليهم من نعمٍ، وموقفهم منها موقف الجحود ونقض العهود، لذلك جاء ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير، وأدعى إلى التأثير)[٣٢]. والذي يظهر من كلام صاحب المنار أن دراسة السياق القرآني تعين على معرفة سر هذا الترتيب، ولكنه لم يفصل في السياق الذي جاءت فيه قصة سيدنا موسى – عليه السلام - في سورة البقرة وفي سورة الأعراف، وعلى هذا فأقول - وبالله التوفيق -: إن القصة في سورة البقرة جاءت في سياق التوبيخ والتعنيف وبيان مواقفهم إزاء نعم الله – تعالى - وأوامره، فبدأ ببيان جحودهم لنعم الله - تعالى-؛ ليدل على عظيم ذنوبهم، وذكر ظلمهم في ذلك، ثم بيَّن أن ذمهم لم يكن محصوراً في جانب النعم المادية، بل فيما أرشدوا إليه من خيرٍ عامٍ، فكان الحديث عن شأنهم في دخول القرية، وبيان جحودهم وتمردهم، وما حصل لهم من عقوبةٍ على فعلهم ذلك، ثم عاد لمزيد توبيخهم إلى بيان حالهم مع نعم الله – تعالى -، وذكر استسقاء سيدنا موسى – عليه السلام- لقومه وما كان من هذا الأمر؛ زيادةً في تعنيفهم، فهذا الترتيب الذي جاء في سياق التوبيخ والذمّ، فيه إشارةٌ إلى أنهم استجمعوا العصيان وحب الخروج على الأوامر التي فيها الخير، فحيثما

قلبت نظرك في مواقفهم حيال تلك النعم، وجدت عصيانهم وتمردهم، أما في سورة الأعراف: فإن من يدقق النظر في سياق الآيات، يجد أن السياق يتحدث عن منن الله – تعالى – على بني إسرائيل، وقد صُدِّرت القصة التي نحن بصدد بيانها بقوله – سبحانه –: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ، ثم ذكر بعد هذا ما منَّ به الله – سبحانه وتعالى – على هؤلاء القوم من نعمٍ عظيمةٍ؛ بأن قطَّعهم اثنتي عشرة

أسباطاً أمماً، ثم ذكر أن قوم سيدنا موسى – عليه السلام– استسقوا نبيهم – عليه السلام –فكانت المنة بأن انبجس الماء من الحجر، ثم ظلل الله – سبحانه – عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وكل هذه نعمٌ أغدقها عليهم، ثم ذكر بعد هذا بعض ذنوبهم إزاء ما أنعم عليهم، فساق الحديث عن شأنهم مع القرية، وما أحدث لهم بعد ذلك من العقوبة؛ بسبب ظلمهم، والله أعلم بأسرار تنزيله.

وقد أشار البقاعي إلى السبب في هذا التناسق في سورة الأعراف، حيث قال: (ولما مدحهم[٣٣] شرع يذكر شيئًا مما أسبغ عليهم من النعم، لأجل هؤلاء المهتدين من التكثير بعد القلة، والإعزاز بعد الذلة، بجعلهم ممن يؤم؛ استعطافًا لغيرهم، ويذكر بعض عقوباتهم ترهيباً)[٣٤].

أقول: وما ذهب إليه البقاعي يوافق ما أشار إليه سياق الآيات، وهو كلامٌ نفيسٌ، وإن هذا الترتيب ليدل على إعجاز هذا الكتاب الخالد، ودقة بيانه، وعميق أسراره البلاغية التي لا ينضب معينها، ولله الحمد والمنة.

المطلب الثالث

الاختلاف في التقديم والتأخير من حيث اللفظ القرآنية

إن مبحث التقديم والتأخير مبحثٌ ذو شأنٍ عظيمٍ؛ لأنه يدخل في صلب نظرية النظم التي تبرز إعجاز القرآن، وقد أشار شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني

إلى أهمية التقديم والتأخير بقوله: (هو بابٌ كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يفتر [٣٥] لك عن بديعة، ويفضي[٣٦] بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك[٣٧] ولطف عندك: أن قدم فيه شيءٌ، وحُوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ)[٣٨].

والتقديم قد يكون في المفردة، وقد يكون في التركيب، وكذا التأخير، وسأتناول في هذا المطلب أمثلةً على ما جرى فيه التقديم والتأخير من حيث المفردة؛ لدراسة بعض أوجه الإعجاز فيها، ومن الأمثلة على هذا الموضوع: ما جاء في قضية سجود السحرة، وذكر موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام-، يقول الله- سبحانه وتعالى -:﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠- ١٢٢]، ففي هذه الآية قدم ذكر النبي موسى على النبي- هارون عليها السلام-، بينما نجد في قول الله – سبحانه وتعالى -: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٧٠] تقديم ذكر النبي هارون على النبي موسى -عليهما السلام-، فما سر هذا التغاير في التقديم والتأخير؟

قال زين الدين الرازي: (إنما قدم هارون – عليه السلام- ليقع موسى- عليه السلام- مؤخراً في اللفظ، فتتناسب الفواصل، أعني: رؤوس الآيات) [٣٩].

وهنا أود أن أشير إلى قضية رعاية الفاصلة التي جعلها كثيرٌ من المفسرين غرضاً بيانياً مستقلاً بذاته، وهذا –حقيقةً- كلام لا يسلم لهم؛ على معنى (أنه لا ينكر أن يكون جمال الإيقاع له مراعاته في الآيات، ولكنه في كتاب الله - تعالى - لا يستقل بتقديمٍ أو تأخيرٍ، أو حذفٍ أو ذكرٍ، وإنما إن كان ذلك، فلا بد أن يكون تابعاً لمعنىً أراده القرآن الكريم)[٤٠].

إذن الفاصلة ليست في حد ذاتها غايةً في كتاب الله - تبارك وتعالى -، لذلك لا بد من البحث في السر البلاغي لهذه الفاصلة؛ لندرك الغاية من التقديم والتأخير.

وقد أشار الزركشي - بكلامٍ فيه طابع العموم- إلى وجه التقديم والتأخير هنا، حيث قال: (إن الفائدة في إعادة القصة الواحدة بألفاظٍ مختلفةٍ تؤدي معنىً واحداً، وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتقوى البلاغة)[٤١].

وهذا كلامٌ عامٌّ يصلح عند الزركشي لكل لفظٍ وقع فيه التقديم تارةً، والتأخير تارةً أخرى في القصة القرآنية، كما أفاده في بيان فوائد إعادة القصة في أكثر من موضع، ولكن ينبغي أن نبين ما وجه التقديم والتأخير حسب ما يستدعيه السياق القرآني، ثم إن تغاير ترتيب الألفاظ لا بد أن يؤدي معانٍ مختلفةً، ولكنها لا تتغاير فيما بينها على وجهٍ من الافتراق والتضاد، ولدى التأمل، يلحظ أن التقديم والتأخير في سورة طه جاء منسجماً مع الجوانب النفسية، التي تحدثت عنها الآيات، فقد كان من المناسب أن يقدم سيدنا موسى – عليه السلام-، وهو صاحب الرسالة على أخيه هارون–عليه السلام- ، الذي ساعده في حملها، إلا أن آية سورة طه كانت قد حدثتنا من قبل عن خوف سيدنا موسى- عليه السلام-، ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه:٦٧]، فكان في تقديم ذكر أخيه هارون- عليه السلام- إشارةٌ إلى هذا المعنى النفسي، والله أعلم، فيكون التقديم هنا للاهتمام بالمقدم، والعناية به؛ لاعتباراتٍ اقتضاها السياق، فسيدنا موسى -عليه السلام- كان قد مر بتجربة العصا التي تنقلب حيةً، ومرت به تجربة الخوف منها حيث ولى مدبراً، وبين الله - تعالى - له أن هذه ستكون آيةً إلى فرعون: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:٢١]، لكن لما كان يوم اللقاء بالسحرة، وكان منهم أن أَلْقَوا ما ألقوه، عاد الخوف إلى نفس سيدنا موسى -عليه السلام- ، كأنه كان حديث نفس، وكان يظهر له هذا الخاطر، فجاء الترتيب على هذا الأساس ليعبر لنا عن هاجس النفس هذا.

ومثل هذا التوجيه الذي يقال في الآية المذكورة، يمكن أن يقال في الآية: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[طه:٧٠]، حيث تقدم ذكر سيدنا هارون على ذكر سيدنا موسى - عليهما السلام-، بخلاف بقية المواضع التي ورد فيها ذكرهما معاً.

وللأستاذ الدكتور فضل عباس توجيه في هذه القضية، حيث يقول: (والذي يظهر لي- والله أعلم بما ينزل- أنه لما كانت سورة طه السورة التي بين فيها أن

القوم لما ألقوا حبالهم وعصيهم، ويخيل إليه أنها تسعى أوجس في نفسه خيفةً موسى، وهو الذي حينما أكرمه الله –تعالى- بالرسالة ومعه العصا، وقيل له: ألقها يا موسى، وولى مدبراً ولم يعقب، قيل له: لا تخف، فما كان ينبغي أن يفكر بالخوف من فعل السحرة ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨]، وكان هارون – عليه السلام- أحرى منه بهذا الخوف؛ لأنه لم يشاهد ما شاهد أخوه من قبل عندما أوحى الله – تعالى- إليه، ولم يذكر في النظم الكريم أن هارون -عليه السلام- أصابه ما أصاب موسى – عليه السلام- من الإحساس بالخوف، من أجل هذا يبدو لي أن النظم جاء هكذا ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[طه:٧٠])[٤٢] وهذا كلامٌ طيبٌ ينسجم مع سياق الآيات.

وقد ذكر الحسناوي: (أن هذا يصور الحالة النفسية التي كان عليها السحرة لما ظهرت معجزة موسى -عليه السلام-، فألقوا سجداً يتلعثمون بالشهادة، كالذي[٤٣]فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها). [٤٤]

أقول: ولعل هذا الرأي بعيد؛ لأن القوم بدا منهم ضبط الأعصاب، وهدوء السجية، وقد ظهر ذلك على أقوالهم في مواجهة فرعون لما سألهم عن صنيعهم ذلك.

وقد ذكر عبد الكريم الخطيب: (أن الآيات تحكي اختلاف مقولات السحرة في تلك الحال، فبعضهم قال: برب هارون وموسى، وبعضهم قال: رب موسى وهارون، كما في الأعراف، وقال بعضهم: برب العالمين، كما في الشعراء، أي قالوا جميعاً مقولاتٍ تدلهم على كلام الله)[٤٥].

ومع تقديري لهذا الرأي، فإنه ينبغي مراعاة التناسب في سياق الآيات، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى: ما المانع أن يتحدث أحدٌ بلسانهم وهم يقرونه على ما يقول، فقوله قولهم، وإقراره إقرارهم؟ فلماذا هذا التقسيم الذي لم ينبن على دليلٍ؟ ثم إن في إجابتهم ووعظهم لفرعون تصريح برجوعهم إلى الحق، وبهذا يظهر أن للتقديم والتأخير شأنٌ بالغٌ في الآيات السابقة، كما هو شأنه في غيرها.

المطلب الرابع

الاختلاف في التقديم والتأخير من حيث النظم

تناولت في المطلب السابق التقديم والتأخير من حيث اللفظة القرآنية، وسأتناول هنا التقديم والتأخير من حيث التركيب والنظم، إذ نلحظ في بيان قصة سيدنا موسى- عليه السلام- أن القرآن الكريم قد يقدم تركيباً لغوياً على آخر في موضعٍ، ثم يغاير هذا الترتيب في موضع آخر، فلا بد من سر يكمن وراء ذلك، وسأتحدث عن مثالين أتناولهما بالدراسة؛ ليظهر لنا بعض تلك الأسرار؛ ففي سورة البقرة يقول الله- تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة: ٥٨].

وفي سورة الأعراف يقول الله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف:١٦١].

فسورة البقرة فيها: (وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة)، وسورة الأعراف فيها: (وقولوا حطةٌ وادخلوا الباب سجداً)، فيلاحظ أن ثمة تقديماً وتأخيراً في بعض الجمل القرآنية، فما سر هذا التغاير مع أن القصة واحدة؟.

قال الخطيب الإسكافي: (إن ما أخبر الله - تعالى - به من قصة موسى- عليه السلام- وبني إسرائيل وسائر الأنبياء، وما حكاه من قوله -عز وجل- لهم لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها، وكيف لا يكون ذلك واللغة التي خوطبوا بها غير العربية؟ فإذن حكاية اللفظ زائلةٌ، وتبقى حكاية المعنى، ومن قصد حكاية المعنى كان مخيراً بين أن يؤديه بأي لفظٍ أراد، وكيف شاء من تقديمٍ وتأخيرٍ، بحرف لا يدل على ترتيبٍ كالواو، ولو قصد حكاية اللفظ ثم وقع في الممكن اختلافٌ لم يجز، فلو قال قائلٌ حاكياً عن غيره: قال

فلانٌ: زيدٌ وعمرو ذهبا، وكان هذا لفظاً محكياً، ثم قال ثانياً قاصداً إلى حكاية هذه اللفظة من كلامه: عمرو و زيدٌ ذهبا، لم يجز له ذلك؛ لأنه غيَّر قوله، وأخر ما قدمه، وإن قصد حكاية المعنى كان ذلك مرخصاً له)(٤٦). والذي يقصده الاسكافي: أن القرآن يعمد في القصة إما إلى التعبير عن خصوص اللفظ ويطابق ذلك في العربية، وإما أن يقصد المعنى فيتفنن في الكلام؛ حتى لا يقع إملال في نفس السامع.

وهذا كلام حريّ بالمناقشة؛ ذلك أن ثمة مواقف متعددة عبر عنها القرآن، وقضايا نفسية كشف عنها، وهذه لا يصلح أن يعلق عليها بمجرد التفنن في الكلام أو بمجرد حكاية المعنى فقط، فمن القضايا النفسية التي كشف عنه القرآن قوله -تعالى- ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١]، فالقرآن يصور حالةً نفسيةً لفرعون؛ وهي شدة الحنق والغيظ على من آمن من السحرة، فليس الأمر إذن مجرد حكاية المعنى، قال الأستاذ فضل عباس: (حرف الجر جئ به قصداً؛ ذلك أن الحرف يصور لنا ما في نفس فرعون من حقد وغيظ على أولئك السحرة المؤمنين). (٤٧)

وعلى هذا، فالقرآن يهدف إلى بيان المعنى واللفظ، وينقل ما حصل تماماً، والمواقف متعددة، فكل موقف يبرزه القرآن يعبر عنه بلفظ مخصوص.

وقد أجاب الفخر الرازي عن سبب التقديم والتأخير، فقال: (المراد: التنبيه على أنه يحسن تقديم كل واحدٍ من هذين الذكرين على الآخر، ولا أنه لما كان المقصود منهما تعظيم الله - تعالى - وإظهار الخضوع والخشوع لم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير)(٤٨).

ومع تقديري لرأي الفخر الرازي، فإن طبيعة النظم القرآني تأبى ما ذكره؛ لأن هذا يتنافى مع الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير، فلا بد من البحث عن سببٍ مقنعٍ وراء التقديم والتأخير.

ولابن الزبير الغرناطي رأيٌ حيال هذه القضية، حيث يقول: (فوجه ذلك- والله أعلم- أن قولهم (حطة) دعاءٌ أمروا به في سجودهم، فلو ورد في السورتين

على حدٍ سواءٍ، لأمرهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة، فقدم وأخر في السورتين، ليحرز المجموع؛ أن المراد بهذا القول: أن يكون في حال السجود، لا قبله ولا بعده) (٤٩).

ويفهم من كلام الغرناطي أنه لو كان النظم في السورتين واحداً، لفهم منه أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين، لأن العطف يفيد الجمع والمغايرة، بينما التقديم والتأخير أزال هذا الإشكال، وأثبت أنهم أمروا بالسجود والدعاء فيه، لا قبله ولا بعده، وهذا رأي مقبول، وقد ذهب النيسابوري إلى إن القوم كانوا فريقين: فريق محسن، وهذا ناسبه الأمر بالسجود أولاً، ثم القول (حطة)، وفريقٌ مذنبٌ، ناسبه الأمر بقول (حطة) أولاً، ثم السجود بعد ذلك، وهذا نص كلامه: (لأن المخاطبين صنفان: (محسنٌ ومذنبٌ، واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع، ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وإزالة العجب، واللائق بالمسيء عكس ذلك، ولأنه ذكر في هذه السورة (٥٠): (ادخلوا هذه القرية)، فقدم كيفية الدخول)(٥١).

والذي يظهر أن كلام النيسابوري لا يستقيم مع المعنى الذي أرادته القصة في كلا السورتين، لأن الخطاب كان عاماً يشمل الجميع محسنهم ومسيئهم، ثم حصل التمايز بعد هذين الأمرين، بدليل قوله - سبحانه -﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

ثم ماذا يقول النيسابوري في سياق سورة الأعراف؟ إذ على قوله هذا كان مقتضى الترتيب أن يقال: وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطةً؛ لأن هذا أنسب لقوله - سبحانه -: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[الأعراف:١٩٥]. ولكن النظم جاء هكذا: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ

سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف:١٦١]، لذا فإن الذي أميل إليه هو ما ذهب إليه الغرناطي في ما ذكرناه آنفاً.

ولا شك أن هناك فئتين في القصة، ولكن من الباب الذي أشرنا إليه، وليس كما قال ابن عاشور: (أن هذا اختلافٌ في الأخبار لمجرد التفنن؛ فإن كلا القولين واقعٌ قدم أو أخر)[٥٢]. وفي ما ذهبت إليه كفايةٌ في الإجابة على هذا القول؛ وبالله التوفيق.

المطلب الخامس

الفروق اللغوية في قصة سيدنا موسى- عليه الصلاة والسلام-

إن من يتتبع قصة سيدنا موسى - عليه السلام- في القرآن الكريم، يجد أن هناك فروقاً لغوية في بعض الكلمات أو المفردات، تبدو في الظاهر أنها متشابهة لفظياً، ولكن بتدقيق النظر يظهر للدارس أن لكل لفظ معناه الخاص به.

وسأتناول بالدراسة بعضاً من هذه الفروق اللغوية؛ ففي سورة البقرة يقول الله-تعالى-:﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[البقرة: ٦٠]، وفي سورة الأعراف، يقول الله- تعالى-: ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف: ١٦٠].

فنلاحظ أن سورة البقرة ذكرت لفظ (فانفجرت)، بينما نجد أن سورة الأعراف ذكرت لفظ (فانبجست)، مع أن القصة متشابهة من حيثياتٍ كثيرةٍ، فما السر

في هذا التغاير يا ترى؟ لدى النظر في ما قاله العلماء والمفسرون، وجدت أن بعضهم قد ذهب إلى الترادف بين اللفظين، ومن بين هؤلاء الزمخشري[٥٣] ونظام الدين النيسابوري[٥٤]، وممن ذهب إلى هذا من المعاصرين الشيخ محمد رشيد رضا، حيث يقول: (إن رواة اللغة فسروا أحدهما بالآخر، وذكروا من الشواهد عليه ما يدل على الكثرة). [٥٥]

ومع تقديري لهذا الرأي إلا أنه يناقش من وجوه:

أولاً: هذا فهمٌ للألفاظ بمعناها العام،والشيء المشترك الذي بين اللفظين هو خروج الماء.

ثانياً: كان لا بد من الرجوع إلى سياق الآيات، لتحديد المعاني الدقيقة التي يدل عليها اللفظ المستعمل في مقامه.

ثالثاً: ما ذهب إليه القائلون بهذا الرأي يذهب بروعة المعاني العجيبة، التي تؤديها الكلمة في موضعها، فمن المعلوم(أن كتاب الله - تعالى - لو نزعت منه لفظةٌ، ثم أدير لسان العرب على لفظةٍ غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب- يومئذ- في سلامة الذوق وجودة القريحة) [٥٦].

رابعاً: إن عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية قد حرم الناس من فوائد كثيرةٍ، وحال بينهم وبين مدلولٍ متكاملٍ للكلمة القرآنية، ويعزو الأستاذ الدكتور فضل عباس القول بالترادف إلى كتب التفسير والمعاجم اللغوية، التي كانت سبباً في ذلك كله، فيقول: (حيث التقت هذه الكتب والمعاجم على أن تعطي المعنى القريب للكلمة القرآنية، فتشتبه المعاني، وتختلط بعضها ببعض)[٥٧].

وما أجمل ما قاله الجاحظ في هذا الجانب وهو يدعو إلى التفريق الدقيق بين المعاني، حيث يقول: (وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك، ألا ترى أن الله -تبارك وتعالى - لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع

العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل: أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا ينتقون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال، وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج) (٥٨).

وقد ذهب آخرون إلى أن هناك فرقاً بين اللفظين ، وعدوا ذلك الفرق من الأمور المشكلة، التي يسأل إزاءها عن بيان إزالة الإشكال الوارد على الذهن.

قال الفخر الرازي: (ذكر - تعالى - ههنا (البقرة): (فانفجرت)، وفي الأعراف، (فانبجست)، وبينهما تناقض؛ لأن الانفجار: خروج الماء بكثرةٍ، والانبجاس: خروجه قليلاً، والجواب من ثلاثة وجوهٍ: **أحدهما**: الفجر: الشق في الأصل، والانفجار: الانشقاق، ومنه الفاجر؛ لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق، والانبجاس: اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص، فلا يتناقضان، **وثانيهما**: لعله انبجس أولاً، ثم انفجر ثانياً، وكذا العيون؛ يظهر الماء منها قليلاً، ثم يكثر؛ لدوام خروجه. **وثالثهما**: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر؛ أي يخرج الماء كثيراً، ثم كانت تقل فكان ينبجس؛ أي يخرج قليلاً) (٥٩).

وأقول: إن الإمام الرازي في محاولته للتوفيق بين أمرين يبدوان كالمتناقضين، أمرٌ فيه نظرٌ؛ لأن اللفظين ذكرا في القصة في موضعيها-البقرة والأعراف- على نحوٍ لا يظهر فيه التدافع، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى: فمع رجوع الإمام إلى المعنى اللغوي، لم نلحظ استقراءه لانتقال اللفظة من معناها الأصلي الذي أنشئت تلك اللفظة للدلالة عليه أولاً، ومن جهةٍ ثالثةٍ: وددت لو أن الإمام بين لنا الفرق الدقيق للمعنى حسب السياق، الذي ورد فيه اللفظ في كل موضعٍ.

والرأي الثالث الذي ذكره، ما أظنه يتناسب مع عظم الهبة وجزيل النعمة التي أنعم الله - سبحانه وتعالى – بها على هؤلاء القوم، لا سيما أن سيدنا موسى - عليه السلام- هو الذي استسقى لهم، فلا شك أن العطاء يكون على أكثر من الحاجة -والله أعلم-، وبعد هذا أقول - وبالله التوفيق-: إذا نظرنا في سياق سورة البقرة، نلحظ أن المقام مقام توبيخ وذم لهم، وقد سبق بيان هذا من قبل، لذلك جاء لفظ (فانفجرت) ليدل على وجود أصل النعمة، وهي خروج الماء؛ لأن الانفجار معناه: (خروج الماء وظهوره)،[٦٠] بينما في سورة الأعراف نلاحظ أن السياق سياق الإنعام، وذكر المنن، والتفضل من الله- تبارك وتعالى- على القوم، فناسب ذكر (فانبجست)؛ لأن هذا فيه تمام المنة عليهم ووفورها وإغداقها؛ إذ البجس معناه: (الغزارة والوفور)،[٦١] والتفجر: (السيلان)،[٦٢] وهنا يتناسب اللفظ مع السياق تماماً، والله أعلم بأسرار تنزيله.

ومن الأمثلة على الفروق اللغوية أيضاً: ما جاء في قوله-سبحانه-في سورة البقرة:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]﴾ ،وفي سورة الأعراف يقول - سبحانه -:﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾.[الأعراف:١٦٢]

فسورة البقرة ذكر فيها لفظ (فأنزلنا)، وسورة الأعراف ذكر فيها لفظ (فأرسلنا)، فلا بد من وجود سببٍ لهذا.

قال الكرماني: (لأن لفظ الرسالة والرسول كثر في الأعراف، فجاء ذلك وفقاً لما قبله، وليس كذلك في سورة البقرة)[٦٣].

وهذا وجه محتمل، وقد ذكر الغرناطي سبباً آخر، وهذا نص كلامه: (إن قوله: (فأرسلنا) يقتضي ظهور (منهم)، وذلك بحسب مفهوم الإرسال؛ لأن المعذب قد أحرز ذكره، وأما لفظ (أنزل) فلا يقتضي الانسحاب والتعميم بحسب اقتضاء (أرسل)، فلهذا ورد ما لم يرد عمومه)[٦٤].

فيلاحظ أن الغرناطي بين أن سياق الآية في سورة البقرة جاء خاصاً ، فناسبه الإنزال، بينما سورة الأعراف جاء فيها السياق عاماً، ولهذا ذكر (منهم)، وهذا وجه مقبول.

وعند السيوطي رأيٌ لعله الأولى بالقبول؛ حيث يرى(أن الإرسال أشد وقعاً من الإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال على المتصفين بالفسق) (٦٥).

أقول إلى جانب ارتياحي لمجموع هذه الأقوال وما فيها من كلام طيبٍ، فإنه ظهر لي بالنظر إلى المعنى اللغوي للإنزال والإرسال، والنظر في السياق الذي جاءا فيه رأيٌ آخر أرجو أن يكون فيه صوابٌ وتوفيقٌ، ذلك أن الإنزال يكون فيه الشيء نازلاً دفعةً واحدةً، هذا من حيث الغالب ، ومما يدل على ذلك قول الله - تعالى -:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾، [آل عمران: ٣] فمن المعلوم أن التوراة والإنجيل نزلا دفعةً واحدةً، والقرآن نزل مفرقاً، وهنا ذكر الإنزال مقابل التنزيل.

فالعذاب أنزل على الذين ظلموا من بني إسرائيل دفعةً واحدةً، وفي هذا مزيد سخطٍ ونقمةٍ عليهم، وهذا يتوافق مع سياق التوبيخ والتعنيف الذي وردت فيه الآيات.

وأما الإرسال ففيه "معنى التتابع " (٦٦)، وهنا يظهر الانسجام مع السياق، فكما أن النعم توالت عليهم وتتابعت كما ذكر في سورة الأعراف، فكذلك تتابع عليهم العذاب؛ بسبب موقفهم من تلك النعم المغدقة عليهم، فهذا العذاب تحقق فيه وصفان: كونه دفعةً واحدةً، وفي الوقت نفسه كان متتابعاً متلاحقاً، وفي هذا تظهر العبرة والعظة لمن يعصي أوامر الله - تعالى - ويجحد نعمه التي لا تحصى، والله أعلم، وبهذا ندرك أن اللفظين ليس مفادهما واحداً من كل الوجوه، وإن كان بينهما اشتراكٌ في المعنى، وليس كما أشار ابن عاشور إلى أن (الأمر لمجرد التفنن بين القصتين) (٦٧).

ومن الأمثلة كذلك على الفروق اللغوية: لفظ (أرسل) ولفظ (ابعث)، ففي سورة الأعراف، يقول الله - تعالى -: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[الأعراف: ١١١-١١٢]، وما جاء في سورة الشعراء، يقول الله - تعالى -: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٣٦-٣٧].

فسورة الأعراف ذكر فيها لفظ: (أرسل)، بينما نجد في سورة الشعراء لفظ (ابعث)، فما السر في هذا التغاير اللفظي والقصة متفقةٌ في كثيرٍ من جوانبها في الموضعين؟

قال الخطيب الإسكافي: ((اللفظتان نظيرتان تستعمل إحداهما مكان الأخرى، وقد جاء بعث الرسول وإرساله معاً، إلا أن (أَرْسِل) يختص بما لا يختص به (ابعث)؛ لأن البعث لا يتضمن ترتيباً، والإرسال أصله: تنفيذ من فوقٍ لأسفل، و(أرسل) في الأعراف حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون إليهم، فلما تعالى عليهم ولم يخاطبهم بنفسه، كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه، واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب، فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم كما فخم تحميله ملأه أن يؤدوا كلامه إلى من دونهم، ولما تناولت الحكاية في سورة الشعراء ما تولاه فرعون بنفسه، من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه، وتسوية قدرهم بقدره لقوله:(قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ)[الشعراء:٣٤]، كان هذا الموضع مخالفاً للموضع الأول في مقتضى الحال في التفخيم، فخص باللفظ الذي ليس فيه ما في الأول من التعظيم، وهو قوله (ابعث))[٦٨].

وكلام الخطيب الإسكافي فيه رجوعٌ إلى السياق، وفهم للمعاني من خلال ربط الآيات ببعضها، وقد بين أن بين البعث والإرسال عمومٌ وخصوصٌ، فهما يتفقان من جهةٍ، ويفترقان من جهةٍ أخرى، فليس بينهما ترادف.

وقد ذكر الأستاذ فضل عباس رأياً في هذه القضية مبناه على التدبر في مقام الآيات، حيث يقول: (إن ما جاء في الشعراء كان خطاباً من فرعون لقومه:

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء:٣٤]، أما ما جاء في سورة الأعراف، فقد كان حديثاً عن الملأ :﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[الأعراف: ١٠٩]، لذا استعملت كلمة البعث أولاً؛ لأنها خطابٌ لفرعون، والبعث فيه إثارةٌ أكثر من غيره)[٦٩].

وهذا كلامٌ طيبٌ يتفق مع المعنى اللغوي للبعث والإرسال، إذ معنى البعث: (الإثارة)،[٧٠] والإرسال بمعنى: (المتابعة)[٧١].

ثم إن هذا المعنى ينسجم مع واقع الآيات وسياقها، والله أعلم بأسرار كتابه.

المطلب السادس

الاختلاف من حيث الذكر وعدم الذكر في مواضع

لدى دراسة القصة التي بين أيدينا في كتاب الله – تعالى–، نجد أن بعض الألفاظ ذكرت في مواضع، وبعضها الآخر لم يذكر، والحدث متشابه، وموضوع القصة واحدٌ، ولا شك أن وراء ذلك أهدافاً وأسراراً تنكشف لمن يفتح الله – تعالى– عليه، ويمن عليه بفهم آياته.

وسأتناول في هذا الجانب بعض الأمثلة على ذلك محاولاً دراستها، وبيان آراء العلماء فيها.

ففي سورة البقرة، يقول الله – تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾. [البقرة: ٥٩].

وفي سورة الأعراف، يقول الله– سبحانه –:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾.[الأعراف: ١٦٢].

فسورة البقرة ذكر فيها اللفظ (ظلموا) تماماً كما ذكر في الأعراف، ولكن في الأعراف نلحظ اللفظ (منهم) جاء بعد اللفظ (ظلموا)، وهذا لم يذكر في البقرة، ونجد أيضاً في البقرة (فأنزلنا على الذين ظلموا)، بينما نلحظ في الأعراف (فأرسلنا عليهم)، فما هو السر في هذا؟

قال الخطيب الإسكافي: (إن قوله - تعالى - :﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وإن لم يذكر فيه (منهم) معلوم أن المراد بالظالمين: الذين ظلموا من المخاطبين بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾[البقرة: ٥٨]﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، [البقرة: ٥٨]، فالذين ظلموا من هؤلاء هم: الموصوفون بالتبديل، والمغيرون لما قدم إليهم من القول، إلا أن في سورة الأعراف معنىً يقتضي زيادة (منهم) ولا يقتضيها هنا، وهو أن أول القصة في الأعراف مبني على التخصيص والتمييز؛ بدليل لفظه في الآية، قال الله - تعالى - ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾،[الأعراف: ١٥٩] فذكر أن منهم من يفعل ذلك، ثم عدد صنوف إنعامه عليهم وأوامره لهم، فلما انتهت قال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غير الذي قيل لهم﴾، [الأعراف: ١٦٢]، فأتى في آخر ما حكى عنهم، من مقابلة نعمة الله عليهم بتبديلهم ما قدم به القول إليهم بلفظ (من) التي هي للتخصيص والتمييز، بناءً على أن أول القصة التي هي (وَمِن قَوْمِ مُوسَى...))[٧٢].

وما ذهب إليه الخطيب الإسكافي صحيحٌ بالنظر إلى الآيات وسياقها؛ فإنه لما كان في سورة الأعراف بعض من المهتدين بنص الآية ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[الأعراف:١٥٩]، وفي قول الله - سبحانه -: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الأعراف:١٦٨]، لا جرم ذكر هنا (منهم) تخصيصاً لهؤلاء الصالحين المهتدين، إذ لم يشملهم العذاب، فناسب ذكر (منهم)؛ تخصيصاً لهؤلاء الصالحين المهتدين الذين لم يشملهم العذاب، بينما في البقرة لم يتقدم مثل هذا، ثم إن الذي يتأمل ما جاء في سورة البقرة (الذين ظلموا) دون ذكر (منهم)،

يلحظ أن اللفظ بمنطوقه يدل على أن الذين ظلموا أُخِذوا بالعذاب، وبمفهوم المخالفة يفهم أن هناك من لم يظلم، فلم يتناوله العذاب، فيتفق ما جاء في البقرة مع ما جاء في سورة الأعراف، ولكن في الأعراف مزيد بيانٍ وتخصيصٍ؛ لأن المقام مقام إنعامٍ كما مر من قبل.

وأما وضع المظهر موضع المضمر في قوله - سبحانه -: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[البقرة:٥٩]، ولم يقل عليهم كما في الأعراف، فقد أجاب عنه الشيخ محمد عبده بقوله: (إن هذا العصيان لم يكن من بني إسرائيل كلهم، وإن هذا الرجز كان خاصاً بالظالمين منهم، الذين فسقوا عن الأمر ولم يمتثلوه، وقد أكد هذا المعنى أشد تأكيدٍ بوضع المظهر موضع المضمر، فقال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [البقرة:٥٩]، ولم يقل (فأنزلنا عليهم)، ولعل وجه الحاجة إلى التأكيد: الاحتراس من إبهام كون الرجز كان عاماً كما هو الغالب فيه، ثم أكده بتأكيدٍ آخر، وهو قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾، وفي هذا الضرب من المقابلة من تعظيم شأن المحسنين ما فيه)[٧٣].

وهذا كلامٌ حسنٌ يتناسب مع سياق الآيات، وكنت أود للشيخ محمد عبده أن يزيد في تفصيل القضية؛ لأن المسألة تتجاوز الوقوف مع السياق وتحديد المعنى بناءً عليه، إلى إبراز جانب عجيب من جوانب العدل الإلهي، والذي أعنيه: أنه لما قال - سبحانه - في سورة البقرة: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٥٩] الآية، فالنص على لفظ (الذين ظلموا) مرةً أخرى فيه أمران:

- **الأمر الأول**: إقامة الحجة على الذين صدر منهم ذلك الفعل، وحصول الظلم منهم، وتسجيل ذلك عليهم.

- **الأمر الثاني**: بيان عدل الله - سبحانه وتعالى -، وأنه لا يأخذ بالذنب إلا إذا استحقه صاحبه، وقبل كل هذا إذا شاء الله - تعالى - أن يصيبه بالعذاب، فذكر لفظ (الذين ظلموا)؛ ليدل على استحقاقهم ذلك، فكأن هذا تعليل لإنزال العذاب عليهم،

وأما عدم ذكر هذا اللفظ في الأعراف، وذكر (عليهم) بدلاً منه، فهذا مرجعه إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: من حيث اللفظ؛ فالضمير (هم) في (عليهم) يرجع إلى (منهم) في قوله - سبحانه -:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾

الأمر الثاني: أن الإضمار هنا بدل الإظهار فيه مزيد تبكيتٍ لهم؛ إذ لم يستحقوا أن يذكروا بالوصف، وطوى ذكرهم؛ لأن المقام مقام تعديد النعم الجزيلة عليهم، فمن كان هذا موقفه إزاء نعم الله - تعالى – العديدة، وإكرامه الذي ينبغي أن يقابل بالشكر، أقول: من كان هذا موقفه جحوداً و نكراناً لها، وعصياناً للأوامر، وتبديلها على غير وجهها حريٌ بأن لا يذكر.

وعلى هذا، فإنه يلحظ جلياً التوافق بين ما جاء في سورة البقرة، وما جاء في سورة الأعراف في ما نحن بصدده، مما يشهد لهذا الكتاب العزيز بالإعجاز.

ومن الأمثلة أيضاً على ما نحن بصدده: لفظ (يذبّحون) بدون الواو، ولفظ (ويذبحون) بالواو، ففي سورة البقرة يقول الله – تعالى-: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ }[البقرة:٤٩]، وفي سورة إبراهيم يقول الله –تعالى-:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾.[إبراهيم:٦].

فقد ذكر في سورة البقرة الفعل (يذبِّحون) مجرداً عن الواو، وذكر في سورة إبراهيم -عليه السلام- (ويذبِّحون) بالواو، فما السر في هذا مع أن القصة متشابهة من وجوهٍ كثيرةٍ ؟.

قال زين الدين الرازي: (حيث حذف الواو جعل التذبيح والتقتيل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبتها جعل التذبيح كأنه جنسٌ آخر غير العذاب؛ لأنه أوفى على بقية أنواعه، وزاد عليها زيادةً ظاهرةً، فعلى هذا يكون زيادة الواو أبلغ)(٧٤).

هذا الكلام يقبل منه بعضه ويوافق عليه، ويتوقف في بعضه الآخر، وبيان هذا: أن تفسير حذف الواو بمقتضى الصيغة النحوية وجعل التذبيح والتقتيل تفسيراً للعذاب وبياناً له، على معنى أنه عطف بيانٍ أمرٌ لا بأس به؛ إذ نحن بحاجة إلى إبراز سر هذا البيان بهذه الطريقة، وأما تفسيره لوجود الواو بأنه أفرد الحديث عن العذاب كأنه جنس آخر لوقعه على نفوسهم وشدة أثره، فهذا أمرٌ واضحٌ بيّن، لكن الذي يتوقف في شأنه قوله: بأن زيادة الواو أبلغ، وهذا كلامٌ يناقش مع تقديري لرأي الإمام؛ إذ كل لفظ في القرآن الكريم في أعلى مراتب البلاغة، لكن الإعجاز قد يكون أظهر في مواضع منه في مواضع أخرى مع كون الكل معجزاً، أعني: أن الكل معجز، ولا تفاوت في فصاحة القرآن وبلاغته، إذ يفهم من قول الإمام زين الدين أن الموضع الذي لم يذكر فيه الواو قد قصرت رتبتها في البلاغة عن الموضع الذي ذكر فيه الواو، وهذا كلام لا يتناسب حقيقةً مع إعجاز القرآن.

ثم إن قول الإمام: (حيث حذف الواو) و(وحيث أثبتها)، كلام يمكن أن نأخذه على تجوّز؛ لأن معنى الحذف أن هناك شيئاً موجوداً تم حذفه، ويمكن تقديره، والآيات على خلاف ذلك، فالأنسب القول: (حيث لم تذكر الواو) و(وحيث ذكرت).

وللأستاذ الدكتور فضل عباس رأي في توجيه هذه المسألة، حيث يقول: (في قوله - سبحانه-: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩] تذبيح الأبناء جزء من سومهم العذاب، وهو أدل على المقصود من الامتنان بالنعمة، وجاء في سورة إبراهيم: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم:٦]، وهذه الآية جاءت حديثاً على لسان سيدنا موسى -عليه السلام-، والآيات التي جاءت بدون الواو امتنان من الله - تبارك وتعالى -، ومجيء الواو – كما في سورة إبراهيم

– يدل على أن كلاً من سوم العذاب والتذبيح أمرٌ مستقلٌ بذاته، وهو مناسبٌ لذكر النعمة التي ذكّر بها موسى –عليه السلام– قومه)[٧٥].

أقول: هذا توجيه جميلٌ يتفق مع مقتضيات السياق القرآني الذي وردت فيه الآيات، ومثل هذه الألفاظ القرآنية لها مبحثٌ خاصٌ بعلم البلاغة يسمى الوصل والفصل[٧٦].

ومن الأمثلة أيضاً على الذكر لبعض الألفاظ في مواطن وعدم ذكرها في مواطن أخرى: ما جاء في قوله – سبحانه –: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف:١١٣-١١٤] وجاء في موضع آخر:(فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذًا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾[الشعراء: ٤١-٤٢]، حيث ذكر في الشعراء اللفظ (فلما جاء) و (أإن لنا لأجراً) و (وإنكم إذا لمن المقربين)، بينما نلحظ في الأعراف اللفظ (وجاء)، و(إنّ لنا لأجراً)، و(إنكم لمن المقربين)، من دون اللفظ (إذاً)، فما سبب هذا التغاير؟ وقد أجاب الكرماني عن هذا باختصار، حيث قال: (لأن القياس في هذه السورة (الأعراف) فلما جاء السحره فرعون قالوا أو فقالوا، لا بد من ذلك، ولكن أضمر فيه (فلما)، فحسن حذف الفاء، وخص هذه السورة بإضمار (فلما)؛ لأن ما في هذه السورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق، وأما تقديم فرعون وتأخيره في الشعراء، فلأن التقدير فيهما: فلما جاء السحرة فرعون قالوا لفرعون، فأظهر الأول في هذه السورة؛ لأنها الأولى، وأضمر الثاني في الشعراء؛ لأنها الثانية، وقوله – سبحانه –: (قال نعم وإنكم لمن المقربين).

وفي الشعراء:(إذاً لمن المقربين)؛ لأن (إذاً) في هذه السورة مضمرة مقدرة، لأن (إذاً) جزاء، ومعناه: إن غلبتم قربتكم، ورفعت منزلتكم، وخص هذه السورة بالإضمار اختصاراً)[٧٧].

ومع قبولي لما قاله الإمام الكرماني وحسن تعليله، إلا أن سورة الأعراف لم تبن على الاختصار كما قال؛ إذ إن سورة الأعراف أكثر سورة في القرآن بسط فيها القول حول ما كان من سيدنا موسى -عليه السلام- مع فرعون.

وعند ابن عاشور: (على القراءتين (أإن)و (إنّ) فالمعنى على الاستفهام، كما هو ظاهر الجواب بنعم، وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفاً على القراءة الأولى، ويجوز أن يكون المعنى عليها أيضاً على الخبرية؛ لأنهم وثقوا بحصول الأجر لهم حتى صيروه في حيّز المخبر به عن فرعون، ويكون جواب فرعون بنعم تقريراً لما أخبروا به عنه)[٧٨]. وما ذكره الشيخ ابن عاشور محتملٌ ووارد.

ويحتمل -على ما يبدو لي- أن هناك موقفين: الموقف الأول: سؤالٌ لفرعون، حيث استخدموا فيه أسلوب التوكيد بأكثر من مؤكد؛ لأن السؤال بدا منه أنهم منكرون لما قاله فرعون، ويدل على هذا إجابته لهم: (نعم وإنكم إذاً لمن المقربين)، فسؤالهم سؤالُ منكرٍ، وإجابته إجابة مزيلٍ للإنكار.

والموقف الثاني: بعد أن أجابهم بما يزيل إنكارهم، أرادوا أن ينزعوا عن أنفسهم الشك الذي ما زال يدور في قلوبهم، على اعتبار أن ذلك الأجر كأنه متحقق لهم، فقالوا لبعضهم مطمئنين : (إن لنا لأجراً)، وكأن هذا دار بينهم على مسمعٍ من فرعون ثانيةً، فأجابهم: (نعم إنكم لمن المقربين)؛ ليؤكد لهم مرةً أخرى أنه صادق في وعده، فلا داعي للإنكار والشك، فليطمئنوا ولا يقلقوا، والله - تعالى- أعلم.

المطلب السابع

ما أعيد لفظه بتمامه

لدى النظر في المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى - عليه السلام-، يلاحظ أن بعض الآيات قد ذكرت أكثر من مرة في مواضع متفرقةً، دون أيّ تغييرٍ في النظم، أو في التقديم والتأخير، أو الحذف، أو الذكر وما شابه ذلك، ولا شك أن هذا ليس تكراراً، وإنما هو أمرٌ له حكمٌ وأسبابٌ وموجباتٌ دعت إليه، مما يكشف لنا عن مظاهر إعجاز القرآن المحكم.

واكتفي هنا بذكر مثالٍ واحدٍ لبيان ذلك:

- في سورة هود يقول الله – تعالى- :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود:١١٠].

- وفي سورة فصلت يقول الله - تعالى -:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[فصلت:٤٥]، نلاحظ أن الآية نفسها ذكرت في السورتين (هود وفصلت)، فهل هذا تكرارٌ؟

تبيّن من قبل أنه حتى يعدّ في اللفظ تكرارٌ لا بد من أمرين:

- أن يعاد اللفظ نفسه، وأن تكون هذه الإعادة في سياقٍ واحدٍ ولمعنًى واحدٍ، وهذا في القرآن غير موجودٍ؛ ذلك أن اللفظ الذي يعاد ذكره في القرآن الكريم يكون حسب ما يقتضيه السياق، ويكون أيضاً لبيان معنًى مختلفٍ عن ذكره لأول مرةً، ولا بد من أخذ هذه القاعدة بعين الاعتبار؛ لمعرفة سر إعادة هذه الآية مرةً أخرى بتمام لفظها.

وقبل البيان في هذا المضار أود أن أبين أن هذه الآية لم يتم دراستها على نحوٍ يظهر سر ذكرها بتمامها في السورتين عند علمائنا القدامى[٧٩] فيما بحثت فيه

واطلعت عليه، ولم أجد فيما أعلم من بحث فيها على هذا النحو إلا الشيخ ابن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير)، لذا فإني أنقل هنا كلامه ثم أذكر بعد ذلك رأيي في المسألة، قال ابن عاشور في آية سورة هود: (اعتراضٌ لتثبيت النبي - عليه السلام- وتسليته بأن أهل الكتاب - وهم أحسن حالاً من أهل الشرك- قد أوتوا الكتاب فاختلفوا فيه، أو هم أهل ملةٍ واحدةٍ، فلا تأس من اختلاف قومك عليك، فالجملة عطف على جملة﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾،[هود:١٠٩]، ولأجل ما فيها من معنى التثبيت فرّع عليها قوله - سبحانه -:﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[هود:١١٢])[٨٠].

ويقول أيضاً في بيان آية فصلت: (اعتراضٌ بتسلية النبي -عليه السلام- على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن، بأنه ليس بأوحد في ذلك، فقد أُوتي موسى– عليه السلام- التوراة، فاختلف الذين دعاهم في ذلك، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر، والمقصود: الاعتبار بالاختلاف في التوراة، فإنه أشد من الاختلاف في القرآن، فالاختلاف في التوراة كان على نوعين، اختلافٌ فيها بين مؤمنٍ وكافرٍ، فقد كفر بدعوة موسى – عليه السلام – فرعون وقومه

وبعض بني إسرائيل مثل قارون، ومثل الذين عبدوا العجل في مغيب موسى – عليه السلام- للمناجاة، واختلاف بين المؤمنين بها اختلافاً عطلوا به أحكامها، كما قال الله - تعالى -:﴿ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾، [البقرة:٢٥٣]، وكلا الاختلافين في موضع عبرة وأسوة لاختلاف المشركين في القرآن، وهذا ما عصم الله- تعالى- في القرآن من مثله؛ إذ قال:﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فالتسلية للرسول -عليه السلام- بهذا أوقع)[٨١].

نلاحظ أن الشيخ ابن عاشور قد فرّق بين الاختلافين، فجعل الاختلاف في سورة هود اختلاف المؤمنين في كتاب سيدنا موسى - عليه السلام- من حيث تعطيل بعض الأحكام، فكأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وجعل الآية "ولقد آتينا موسى الكتاب ..." الآية معطوفةً على قوله - سبحانه -: "فلا تك في مرية منه"، وهنا أقول: إن تخصيص الاختلاف بالمؤمنين بالتوراة دون غيرهم لعله لا

يتناسب مع سياق القرآن في السورة؛ لأن الحديث كان من البداية عن فريقين: فريقٍ مؤمنٍ بدعوة الرسل، وفريقٍ كافرٍ بها، وعلى هذا سيق القصص القرآني، حيث ظهرت فيه هذه القضية بشكلٍ واضحٍ.

وأما الاختلاف الثاني الذي ورد ذكره في سورة فصلت، فيرى الشيخ ابن عاشور أنه اختلاف بين الإيمان والكفر بكتاب سيدنا موسى -عليه السلام – ودعوته، وهذا صحيحٌ؛ لأنه يتوافق مع سياق سورة فصلت؛ حيث جاء الحديث عن اختلاف الكفار في دعوة سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام-، والذي يبدو لي - والله تعالى أعلم بأسرار كتابه- أن سورة هود تحدثت عن الاختلاف على اعتباره سنةً عامةً في الخلق، ولذلك يقول الله – سبحانه وتعالى -:﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[هود:١١٨-١١٩]الآية.

ولذلك فإن الاختلاف في كتاب سيدنا موسى-عليه السلام- مع كونه واضح البينة- أمرٌ ينبغي أن لا يثير الارتياب في نفس النبي - عليه السلام- ، ولهذا قال الله -تعالى- قبل هذه الآية:﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ ﴾[هود:١٠٩]، وقد قال الله -تعالى– أيضاً:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود:١٧].

وأما في سورة فصلت، فقد جاءت هذه الآية عقب الحديث عن كفر الذين دعاهم سيدنا محمد عليه - الصلاة والسلام- إلى الإيمان بهذا القرآن، الذي ذكره الله - سبحانه - في بداية السورة بقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[فصلت:٢-٤]، ثم ذكر وضوح القرآن بكونه عربياً مفصل الآيات فقال الله - تعالى -:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٤٤].

ثم قال الله - سبحانه -:﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾؛[فصلت:٤٥]؛ ليشير إلى أن هذا الاختلاف الناشئ عن شكٍ وريبٍ واضطرابٍ إنما هو استمرارٌ لسنة الاختلاف المذكور في سورة هود، بدليل قوله - سبحانه -:﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾[فصلت:٤٣].

فليس إذن هذا الاختلاف المستمر ناشئاً عن عدم كفاية الأدلة والبراهين على صدق الدعوة والكتاب، بل هي كافية لمن أراد أن يذكر أو أن يخشى، ولكنه العناد والمرية التي تستمر في نفس صاحبها:﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:٥٤].

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، فبعد الفراغ من دراسة هذا الموضوع، أود أن أبرز نتائج البحث التي توصلت إليها، وأجملها فيما يلي:

أولاً: للبحث في المتشابه اللفظي في القصة القرآنية أصول ينبغي مراعاتها، وهي تتمثل في أربعة أصول:

١. دراسة النظائر القرآنية ، وربط الآيات بعضها ببعض.
٢. مراعاة السياق القرآني.
٣. بيان المتشابه على نحو ينفي دعوى التكرار.
٤. الدراسة البيانية للمتشابه اللفظي في القصة القرآنية.

ثانياً: أخذ المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى – عليه السلام – أبعاداً متعددة؛ نظراً لكثرة ورود القصة في القرآن، وقد لوحظ أن هذه الأبعاد جاءت على النحو التالي:

١. ما يوهم التعارض والاختلاف، كالاختلاف في ذكر الحية والثعبان والجان، وهذا في حقيقة الأمر تتآخى فيه المعاني، وكل لفظ يدرس ضمن سياقه وموضعه في القرآن؛ فهي حية تسعى لمقابلة عنصر الجمود الكائن في العصا، وليدل على أصل الحركة لهذا المخلوق العجيب، ووصفت بأنها جان؛ إذ أشبهت صغار الحيات في سرعتها وخفتها، ووصفها بأنها ثعبان؛ لبيان الجَرْم وعظم الحجم، وقد جاء في سياق التحدي بين فرعون وسيدنا موسى-عليه السلام-، فقد جاءوا بأفخم ما عندهم وقصارى ما عرفوه وحذقوه من صنعتهم، فناسب أن يقابلوا بما هو أعظم وأفخم، فكان لفظ الثعبان أنسب بالسياق.

٢. الاختلاف في ترتيب أحداث القصة، وقد ذهب الخطيب الإسكافي وزين الدين الرازي في دراستهما لمتشابه اللفظ في قصة سيدنا موسى – عليه السلام- إلى أن تغاير الترتيب في القصة كان القصد منه حكاية المعنى وليس اللفظ، ومن قصد حكاية المعنى كان مخيراً أن يؤديه بأي لفظ أراد. وهذا كلام لا يسلم من النقاش؛ إذ يذهب بالغرض البلاغي من مغايرة الترتيب؛ فهناك مواقف متعددة عبر عنها القرآن، وهناك قضايا نفسية كشف عنها، وهذه لا يعلق عليها بمجرد حكاية المعنى فقط، أو الافتنان في الأسلوب.

٣. الاختلاف في التقديم والتأخير من حيث اللفظة القرآنية، حيث إن التقديم والتأخير فيه من الأسرار البلاغية الشيء الكثير، وليست الفاصلة القرآنية غرضاً بلاغياً مستقلاً تفسر القضايا البيانية على ضوئه، ففي قوله -تعالى- :﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[طه: ٧٠]، ليس الهدف من التقديم أن يقع لفظ موسى مؤخراً في اللفظ رعاية للفاصلة، بل الهدف بيان الإعجاز بترتيب القصة؛ لينبههم على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدءاً به ومكرراً.

٤. الاختلاف في التقديم والتأخير من حيث النظم.

٥. الفروق اللغوية في المتشابه اللفظي في القصة، ومن ذلك الفرق بين (فانبجست)، و(فانفجرت)، فهناك من ذهب إلى أنهما بمعنىً واحد، وهناك من ذهب إلى وجود الفرق بينهما؛حيث الانبجاس: هو الخروج القليل للماء، والانفجار: الانشقاق وخروجه كثيراً. وقد ظهر لي أن (فانفجرت) دل على وجود أصل النعمة وهو: خروج الماء؛ إذ الانفجار معناه: خروج الماء وظهوره، وأما(فانبجست) فهو من البجس ويعني: الغزارة والوفور والسيلان، وفيه تمام المنة عليهم ووفورها وإغداقها.

٦. الاختلاف من حيث الذكر وعدمه في مواضع، ففي سورة البقرة قوله – تعالى – :(فبدل الذين ظلموا) دون كلمة (منهم)، وفي الأعراف (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ) بذكر كلمة(منهم)؛ إذ لما كان في سورة الأعراف بعض من المهتدين بنص الآية{وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }[الأعراف:١٥٩]، وفي قول الله – سبحانه –:﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأعراف:١٦٨]، ذكر(منهم) تخصيصاً لهؤلاء الصالحين المهتدين

الذين لم يشملهم العذاب، بينما في البقرة لم يتقدم مثل هذا، ويفهم مما جاء في سورة البقرة أن الذين ظلموا أُخِذوا بالعذاب، و هناك من لم يظلم، فلم يتناوله العذاب، فيتفق ما جاء في البقرة مع ما جاء في الأعراف، إلا أن في الأعراف مزيد بيانٍ وتخصيصٍ؛ لأن المقام مقام إنعامٍ.

٧. ما أعيد لفظه بتمامه.

ثالثاً: هناك اختلاف في مناهج العلماء والمفسرين في تناول المتشابه اللفظي في هذه القصة القرآنية، وقد نوقش بعض العلماء في ما ذهب إليه في هذا الشأن؛ إذ إن هناك من أغرب في رأيه.

رابعاً: هناك آراءٌ لبعض العلماء تفيد أن بعض الألفاظ القرآنية جاءت بمعنىً واحد، وهذا قولٌ غير صحيحٍ احتاج إلى إعادة نظر.

وبعد، فإني لأرجو الله – تعالى – السداد في ما قدمت من جهدٍ وبحث، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت ، (٤١١/٣٦).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم المصري، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت ، (٥٠٣/١٣).

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ١٩٩٥م، (٣٥٤/١).

(٤) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، ، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، (٣٧٣/٣)

(٥) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، د.ط، د.ت، ص١٦١٠.

(٦) الكرماني، محمود بن حمزة، **أسرار التكرار في القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦، ص١٧-١٨.

(٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٩٩٦م، (٩١١/٢).

(٨) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١١٢/١).

(٩) الجويني، عبد الله بن عبد الله بن يوسف، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد العظيم الديب، مطبعة الوفاء، مصر، ط٤، ١٤١٨هـ، (٢٨٤/١).

(١٠) ابن الفراء، محمد بن الحسين، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق: د. أحمد بن علي المباركي، د.ن، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٩م، (١٥٢/١). وانظر السبكي، علي بن عبد

الكافي، **الإبهاج في شرح المنهاج** ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ، (٣٠٨/١).

(١١) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البحر المحيط في أصول الفقه**، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، (٣٦٥/١).

(١٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. ت، ص ٣٩.

(١٣) الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات** المتشابهات في كتاب الله العزيز، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ط، د. ت، ص ١٣٤-١٣٥.

(١٤) البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م، (١٣٩/٣).

(١٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الشركة التونسية للطبع، تونس، ١٩٨٦م، (١٤٥/٨).

(١٦) التكرار: هو إعادة اللفظ نفسه في سياقٍ واحدٍ ولمعنى واحدٍ، وهذا غير موجودٍ في القرآن، وهذا الذي ادعي على القرآن، وإذا لم يتوافر هذان الشرطان، أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرةٍ، ولكن لكل موضع سياقه الخاص، ومعناه الخاص، فإنا لا نسمي ذلك تكراراً أبداً، ينظر عباس، فضل حسن، **القصص القرآني**: **إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٩.

(١٧) ابن قتيبة،عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، د.ت،، ص ٢٣٤.

(١٨) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف مرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، (٢٥/٢).

(١٩) يشير إلى قوله - سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم﴾ [الحجر:٨٧]. وقد أورد المفسرون وجوه معاني (المثاني) والمقصود بها، فقيل: هي السبع الطوال، وسميت مثاني؛ لأن العبر والأحكام والحدود ثنيت فيها، وقيل: المثاني القرآن كله، وقيل له مثاني؛ لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه، ينظر القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، مكتبة الغزالي، دمشق، د.ط، د.ت، (١٠/٥٥).

(٢٠) الرازي، محمد بن أبي بكر، **أنموذج جليل في أسئلةٍ وأجوبةٍ من غرائب آي التنزيل**، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٢١) الرازي، أنموذج جليل، ص ١٥٣، وانظر كذلك ص ٣٧٧، ص ٣٨٧.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٢٣) الباقلاني، محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٥١.

(٢٤) الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (٨/ ٣٨)، النيسابوري، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ضبط: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١ ، ١٩٩٦، (١/ ٢٩٦).

(٢٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٨/ ١٤٥).

(٢٦) الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (٢/٦٠)، الرازي، **مفاتيح الغيب** ، (١٢/١٣٠).

(٢٧) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م،(٣/٣٥٤).

(٢٨) الرازي، مفاتيح الغيب، (١١/١٥).

(٢٩) زين الدين الرازي، **أنموذج جليل**، ص٣٧٧.

(٣٠) الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د.ت. ، ص ٦٤.

(٣١) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣٢) عبده، محمد، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، (١/٣٢٧).

(٣٣) يشير البقاعي إلى أن الله - تعالى - مدح القوم بقوله - سبحانه -: (**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**) [الأعراف: ١٥٩].

(٣٤) البقاعي ، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م. (٣/ ١٣٨).

(٣٥) يكشف.

(٣٦) يوصلك.

(٣٧) استهواك

(٣٨) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، علق على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ص ٨٣.

(٣٩) الرازي، أنموذج جليل، ص ٣٢٨.

(٤٠) عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها- علم المعاني**، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٣٦.

(٤١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،(١/ ٥٦).

(٤٢) فضل عباس ، **القصص القرآني** ، ص ٥٢١.

(٤٣) الحسناوي، محمد، **الفاصلة في القرآن**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٦٨م، ص ١٢٠، وينظر الجيوسي، عبد الله محمد، **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، رسالة دكتوراه بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مخطوط، ص ١٣٧.

(٤٤) حديث الذي فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها في صحيح مسلم، كتاب التوبة ،باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم ٢٧٤٧، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم بشرح النووي**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م، (٤/٢١٠٤).

(٤٥) الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٤م، (٢/٢١٨-٢٢٠) بتصرف.

(٤٦) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل ، ص ١٠.

(٤٧) فضل عباس، إعجاز القرآن، ص١٩٣.

(٤٨) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٣٨/٨).

(٤٩) ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٣٧.

(٥٠) يعني: سورة البقرة.

(٥١) النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ضبط: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦، (١/٢٩٦).

(٥٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (٢٩٨/٨).

(٥٣) الزمخشري ، **الكشاف**، (١٥٩/٢).

(٥٤) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (٣٢٧/١).

(٥٥) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م ، (٣٦٧/١١).

(٥٦) هذا كلام الإمام ابن عطيه ذكره الأستاذ نعيم الحمصي في فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة المحمدية حتى عصرنا الحاضر ، الحمصي، نعيم، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة المحمدية حتى عصرنا الحاضر، دار الفكر العربي، بيروت، د. ط، د.ت، ص ٩٥.

(٥٧) عباس، فضل حسن، **إعجاز القرآن الكريم**، عمان، د. ط، ١٩٩١م، ص ١٧٤.

(٥٨) الجاحظ، عمر بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، د. ط، د. ت، (٢٠/١).

(٥٩) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٠٣/٢).

(٦٠) الفيروز أبادي، **القاموس المحيط** ، (٢٠٦/٢).

(٦١) المصدرالسابق، (١١١/٢).

(٦٢) ابن سيده النحوي، علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، (٣٩٤/٧).

(٦٣) الكرماني ، **أسرار التكرار** ، ص١٢٤.

(٦٤) الغرناطي ، **ملاك التأويل**، (٣٩/١).

(٦٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٦٩م، (٦٨/١).

(٦٦) ينظر ابن فارس، أحمد بن زكريا، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (٣٧٦/١).

(٦٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٤٥/٨).

(٦٨) الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ص ١٢٩.

(٦٩) عباس، فضل حسن، **القصص القرآني**، ص ٥٢٠.

(٧٠) ابن فارس، أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٣٩٢/٢)، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (٩٦/٢-٩٧).

(٧١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (٤٧٣/٨)، السمين الحلبي، ، أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦م(٩٨/٢).**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، وانظر الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، بيروت، د. ط، ١٩٧٨م، ص ٨٦.

(٧٢) الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ص ١٢.

(٧٣) عبده، محمد، **تفسير المنار**، (٣٢٥/١)

(٧٤) الرازي، **أنموذج جليل**، ص ٢٣٩.

(٧٥) عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني**، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ص ٤٠٩.

(٧٦) الوصل: عطف الجملة على الجملة بأحد حروف العطف وهو الواو، والفصل: ترك العطف بين الجملتين، ينظر مطلوب، أحمد، **البلاغة العربية**، وزارة التعليم العالي، العراق، ط١، ١٩٨٠م، ص ١٣١.

(٧٧) الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن**، ص ٨١-٨٢.

(٧٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،(٩/٤٦) .

(٧٩) حتى من جعل دراسته في مشكل القرآن كابن قتيبه، والمتشابه اللفظي في القرآن كالخطيب الإسكافي والكرماني وغيرهم.

(٨٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٢/١٦٩).

(٨١) المصدر السابق، (٢٢/٣١٧).